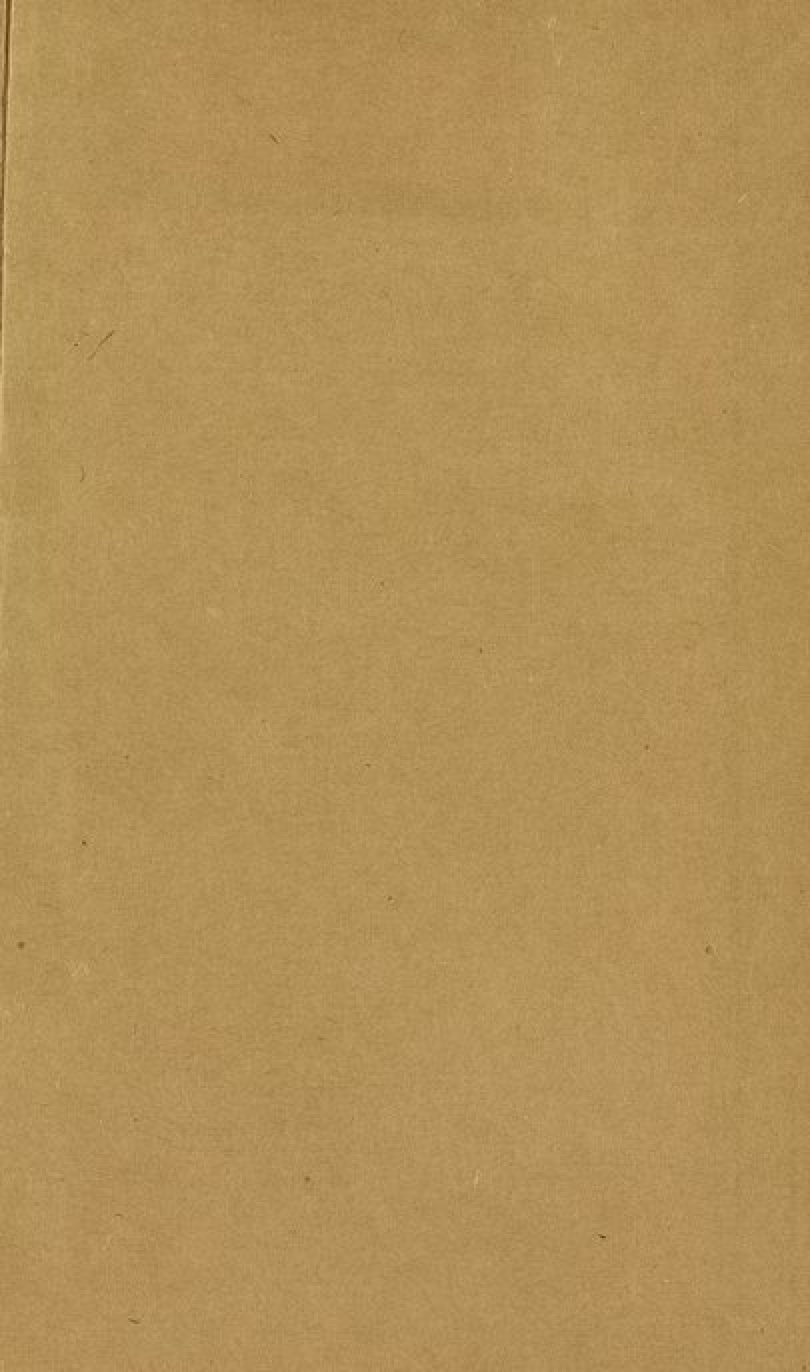





Princeton University Library
32101 079874705



# سوانح الجوهرى

بدوى

تاليف

الاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى

طبع بنفقة

مكتبة التاليف بشارع عبد العزيز بمصر



الطبعة الاولى سنة ١٩١٣

مطبعة التأليف بشارع عبد العزيز بمصر




ليلة السبت ١٥ سبتمبر سنة ٩ ١٩

هذه تذكرة يوميه ، أذكر فيها مايعن لى من السوانح ، عبرة لى وهدى ونور ، لمن يقرأ من أبناء الجيل المقبل ، إنى حين عزمت على هذه التذكره ، أحسست بسرور وانشرح صدرى ، ووقر فى نفسى انها سوف يعتبر بها أبنائى الذين لايزالون فى أصلاب الآباء ، وأرحام الامهات ، بل هجس فى خاطرى أنه لا معنى لحياتى إذا لم أكتب مايعن لى ، وأبين ماتمليه علىّ الكائنات ، وما توحى إلى النفس من المعانى العاليه ، والصور الحكميه ، فأسألك اللهمّ أن تمدنى بروح منك إنك سميع عليم

## أطوار الانسان

الانسان يشارك الجماد والنباتات والحيوانات الملك ، يشارك الجماد فى الثقل والخفه ، وهو نبات يتغذى ويلد ويموت ، وليس مايصنع من الولائم ، وما يحمل من المشاق فى تحصيل الاقوات ، فيجوب القفار ، ويعبر البحار ، الا بما هو نبات

وليس مايرى للعروس من زينة وبهجة ورفاف الثياب ، والسندس والاستبرق والحلى والرياش والفراش إلا ماسبقتها به الزهرة من الجمال ، والاصباغ والرقه ، والبهجة وحسن الشكل والزينة ابان القاح الذكور للاناث ، مما نراه مفصلا فى كتبنا ، ومن عجب أن يفرح الناس ويفتخروا بالولائم والاعراس ، وهم لم يصنعوا إلا ماشاركوا به الازهار

فى النبات ولئن ضربوا الدفوف ، وغنى لهم الموسيقار ، فلقد سبقهم أنواع النحل والحشرات ، وهن يغنين فى زفاف ذكور الازهار لاناثها والعكس ، أليس هذا من العجيب

الانسان يلتذ بالطعام والشراب ، ويفرح بالغلبة والسطوة ، والقهر والصولجان والملك ، ولم يعل عن الاسد والنمر ، وسائر السباع والكلاب ، فانها اختصت بتلك الغلبة ، وهو ملك إذ ينظر فى أمر الامة ، ويسره ارتقاء النوع ، ويكون علمه وعمله عاما ، نافعا ، ويحيط علما بالعالم على مقدار طاقة البشر ، فهو ملك بعلمه وعمله العامين ، حيوان كاسر بصفة الغلبة ، وخنزير ، أو غزال ، أو شاة ، بلذات المطاعم ونحوها ، وهو نبات بما ينمو ويلد ويموت ، وجماد بثقله وخواص الاجسام العامة ، وعجب أمره إذ يجمع بينها فى وقت واحد اذا أكل وهو يفكر فى الحكمة ، ويأمر بما ينفع العموم

---

## — ٢ —

### يوم السبت ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠٩

### طير البلبل فى القفص ( فى حلوان )

جلست للقيلولة يوما فى حلوان ، إذ أرى أمامى فى المكان الذى كنت فيه طيرا صغيرا ، فى قفص حديد ، جاء له خادم المكان ، ففتح القفص فخرج الطائر على يده بدون تفريخ ، شنشنة اعتادها لم يشأ أن يفلت من القفص ، قصوا جناحيه الف ، سجنوه السجن ليلتذوا به ، لا أنبس

له من جنسه ، سالتهم ، أهو ذكر ، أم أنثى ، فاجابوا بالاعتراف بالجهل
عاش بينهم عيشة الراهب فى صومعته ، ولكن فرق ما بينهما ، ان ذاك
فى اختيار ، وهذا فى اضطرار ، قطعوا نسله ، عجب هل يحس بأن له
فصيلة من الطيور ، هل يشوقه ان يرى أحد أبناء جنسه ،هل يدور
بخلده ان كان أنثى أنه لا بد له من طائر ذكر ، وان كان ذكرا بأن له
أنثى ، أهكذا يسوغ فى شرع الوجدان افراده ؟ قتل الانسان ، آلم
الحيوان للذته ، وعزله لخدمته ، هكذا فعل بالخصيان ( الطواشيه )
وهكذا اتخذ العبيد ، اللهم ما لعبادك لا ينصفون ، ولا يعدلون ، يغير
قويهم على ضعيفهم ، واكثرهم على أقلهم يسومونهم سوء العذاب
يتخذونهم خولا وعبيدا ، يسخرونهم فى أعمالهم ، ومنهم من يزحزحهم
التعليم ، ويصدهم عن العلم ، هكذا يفعلون كما فعل صاحب الفندق فى
بلبله من قص جناحه ، الانسان يقص جناح الطير ، وينتف ريشه ،
لئلا يطير ، ويقص جناح أخيه بأن يغمده فى الجهل ، ويباعده عن
العلم ، إذ العلم جناح الانسان ، ان الانسان لظلوم كفار ، اللهم انا
لا أدرى أى فضيلة فى المدنية الحاضرة ، انها مدنية مادية ليس للعدل
فيها نصيب ، اللهم ان بعد هذه المدنية أرقى منها ، ولئن
تجاوز العدل نوع الانسان اليوم ، فلعله يلقاه غدا ، ولئن ظلم فى دنياه
فهنالك ميعاد فى عالم آخر يناله الناس جميعا فى صعيد واحد ، كما عدل
بينهم بالموت والولادة ، ظلم الناس فى النظام الارضى يتبعه العدل
فى النظام السماوى ، وعالم الآخرة

# ٣

## الشورى فى طبيعة الاطفال

فى تاريخه يوم السبت ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠٩

شاهدت فى ليالى رمضان صبيات تتراوح أسنانهن ما بين الخامسة والثانيـة عشرة ، لابسات الثياب الحمر ، يحملن قناديل ، يطفن فى الشارع أمام منزلنا ، يغنين وهن صافات صفاً صفاً ، لهن قيمات منهن فكنت أرى منهن الزاجرة لمن خرجت عن الصف ، والمهيمنة على النظام العام ، وهكذا كنت يوما فى قريتنا الصـغيرة المسماة « كفر عوض الله » رأيت صبيا نا يلعبون وهم يجرون النورج ، ولهم جلبة وضوضاء ، فسألت من حولى من الفلاحين ، فقالوا ان لهـم لرئيسا ، ومعه مجلس استشاره ، ألا ترى ذلك الغلام الذى انتبذ مكانا قصيا على كرسى اتخـذه لنفسه يوضع عادة فوق النورج ، ولهـم عساكر وضباط ومأمورون ، وكلهم يرجعون الى المجلس ورئيسه ، وانظر هذا الصبي يجرى ليبلغ الرئيس اختلال النظام ، وها هو يلق أوامره ، فانطلقت بهم الى اولئك الصبية فعرفت جلية الخبر ناصعة ، وقد رفتوا فى ذلك اليوم ثلاثة أخلوا بالنظام ، فهذه حكومة نظاميه ، اخترعها الابناء من تلقاء انفسهم ، تعلموه من طبيعتهم

أبعد هذا تبقي حجة للامم الظالمه ، المعتدية على حرية الامم الضعيفه ،

أيسوغ للانسان ظلمه ، فطر النمل على النظام الدستورى ، هكذا النحل والغربان ، وكلاب البحر ، والقاعدة كل ما احتاج للاجتماع فطر عليه ، واوّل من ضل من الناس رؤساء الاديان ، الذين حرفوا كلمة الدين عن موضعه ، ولم تضل حكومات الشرق قديما الا باخلالهم بهذه القاعدة (كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه ، او يمجسانه ) والانسانية وشرفها ، قلت سلطة ارباب الديانات فقامت مقامها سلطة القوة ، فان امة بأسرها تسيطر على اخرى وتسلبها فضيلتها وتقول لاتصلحين للنظام والدستور ، فتسلبها استقلالها (قتل الانسان انه كان ظلوما جهولا ) منعوا الرقيق واسترقوه وسيده نظام الانسان ناقص انه ظلوم كفار

## — ٤ —

### زخرف الغرب حجب أبناء الشرق عما ابتكر آباؤهم الاوّلون

اليس عجيبا انى اقرأ فى كتاب التربيـة الاستقلاليـه ، للمؤلف الفرنسى اسكيروس ، الذى ترجمه الى اللغة العربيه عبـد العزيز بك محمد عن الفرنسيه القاضى فى المحاكم الاهلية بمصر

هذا الكتاب يسمى اميل القرن التاسع عشر ، حكاية رأيتها بعينها فى اساطير الاطفال فى بلادنا ، أليس هذا من العجب العجيب

ياضيعة علوم الشرق بغفلة العلماء ، وجهل بعض الرؤساء ، انما يعرف

الفضل من الناس ذووه ، وليس يعظم الانسان شيئا إلا لما وقر فى نفسه من فضائله وجماله ، يجهل الطفل قضية الزواج ، ولذلك لا يميل اليه لانه لم تظهر فيه الشهوة ، ولو انك خيرت الطفل بين أجمل زوجة ولعب الكرة ما فضل على اللعب شيئا ، ولو قيل له اعطنى ثوبك الجميل وخذ الملك لابى لانه لا يعلم لذة الغلبه والسلطان والقهر ، وهكذا ذوو القوة الغضبية من الرجال ، وذوو الشهوات الصغيرة منهم ، لا يأنسون بالعلم ، ولا يفرحون الا بشهواتهم ، وكائن ترى من زهرات باهرات ونبات حسن غفل عن جماله الجاهلون ، ولو أنك اوقفت جاهلا فى حقله ، واخذت بيده وأريته اوراق الزهر ، وبينت جماله واصباغه ونظامه وناموس الالقاح ، وما أودع فيه من الحكمة والجمال ، لاستغرق ضاحكا وصار من الهازئين ، أليس هذا من نقص فطرته وذوقه ، وقلة علمه واختباره ، هكذا يصغر العلم فى اعين الامم الجاهلة ، فاذا بصر به العالم بقدره اعظمه

طالما فكرت فى امر الروايات والخيالات التى وضعها حكاؤنا السابقون ، وبلغاؤنا الماهرون ، فكرت كثيرا وقلت : أليس امثال قصة عنترة ، وسيف بن ذى يزن ، وخيالات ابن العربى فى الفتوحات سعة للمدارك ، ورقيا للامه ، كم سمعت من النهى عن قراءة امثال تلك الكتب ، إذ يقولون ان كتابها لكاذبون ، ولما ان سافر بعض شباننا الى اوروبا رجعوا يولولون ويندبون حظ الشرق وجهله وتخريفه ، ويهزأون باساطير آبائنا الاولين

لحق القول على آثار علمائنا ، وأثمار اسلافنا ، فطويت صحائفهم

ودفنت فى غياهب المخازن ، فلا يفتحها الا المستشرقون ، هكذا فكرت وايقنت ان الغفلة طمست على الابصار ، واعمت البصائر ، كيف لا وهذه كتب الانجليز مشحونة بالاساطير ، مملوءة بالخرافات

أليس هذا من العجيب اليك اللهم شكواى من جهل فاضح ، ونقص واضح ، ولم ازل على هذا الايقان حتى وقفت على ما هو اعجب واغرب ، رأيت مالم يكن ليخطر بالبال ، من عجائب الزمان ، وقرأت فى كتاب اميل القرن التاسع عشر الحض على تعليم الصبيان الطرق الخياليه ، والاحاديث الخرافيه ، المسماة عندنا ( حواديت ) وذكر منها اسطورة الحمار للكاتب الفرنسى منتنار برولت المولود سنه ١٦٢٨ المتوفى سنه ١٧٠٣ وضع حكايات واساطير للاطفال سماها اساطير الجن منها اسطورة الاصيبع ولد ضئيل مكروه الطلعه وله اخوة حسان وكان السبب فى نجاتهم ، ورغد عيشهم ، اسطورة مشحونة بالجن والعفاريت ، يقول مؤلف أميل ، اقرأوا الاساطير لابنائكم لتقوى القوة الخيالية فيهم ، وقد استحلف الآباء والاساتذة ألا يحرموهم هذه الموهبة الثمينه وما فيها من المبالغات والخيالات ستصلحه العلوم الطبيعية وغيرها بعد زمن الصبا

أدهشنى اسطورة الحمار ملخصها : أن ملكا اراد ان يتزوّج بابنته البارعة فى الجمال فحزنت واستشارت قرينتها من الجان ، فاشارت عليها بان تطلب منه ثوبا لونه لون الشمس ، فآخر لونه لون القمر تعجيزا له فاحضرها لها فسالته جلد حماره وكان عزيزا فسلخه فلبسته واختفت عن الاعين لسرفيه ، فاستخدمتها زوجة مزارع فى حقلها

فبصر بها يوما ابن الملك وهى ترعى الخنازير فهام بها ومرض ويئس منه الاطباء فسال اباه ان تصنع له الخادمة لابسة جلد الحمار عدسا فلما احضر عنده وقد دست فيه خاتمها قال لا اتزوّج الا صاحبة هذا الخاتم فبحثوا فلم يروه يوافق الا لابسة جلد الحمار فتزوّجها ، أليس من العجيب ان هذه تأليف كاتب افرنسى ، ويقول مؤلف الكتاب انها تمثل فى ثلاثة اشهر من السنه فى بلاد الانجليز ، وهو يحض قومه على مجاراتهم ، والسير على منوالهم ، ويتحسر الكاتب على جهل قومه بهذه الحكاية التمثيليه ، لاسيما ان المؤلف فرنسى ، ولئن يأسف الفونس اسكيروس مرة ، فانى آسف انا الف مره ، ولئن يعجب من هذا فانى اكثر تعجبا لما اتفق لى وانا مدرس بالمدارس المصريه ، قرأت هذا فوافق ما كنت اخفيه بنفسى ، ثم انطلقت الى بلدتى وهى قرية بالريف ، وكان ابنى قد سبقنى وهو من تلاميذ السنه الاولى فلما ان رأيته سألت عن سيره فقالوا لا يفتأ يسمع القصص والاحاديث من العامه ، وان معه كتابا فيه امثال هذه الاقاصيص وانه يخفيه لئلا نزعم انه يهيم بالجهالة ، فحضر وأرانى الكتاب فاذا فيه نفس ماقرأت فى كتاب اميل حكاية جلد الحمار بعنوان (تاجر يريد ان يتزوّج ابنته) وملخصها انها اقترحت عليه ان يصنع لها بقرة من ذهب تقفل وتفتح من الداخل فقعل فاختفت فيها فباع البقرة لابن الملك فعثر على الفتاة ففارت ابنة عمه مخطوبته فاردتها من نافذة المنزل فآواها رجل فقير وصارت تخيط الثياب وتبيعها وقد كان ابن الملك مسافرا فرجع ومرض اذ لم يجد الفتاة فامر اهل المدينه ان يقدموا طعاما له فاحضرت

عدسا و وضعت معه خاتم ابن الملك فلم تطب نفسه الا لتعاطى طعامها و رفض ماعداه ، وما هداه اليه الا الخاتم فرغب فى زواجها لتكون شفاءه فتم العقد بينهما ، هذا مارأيته فى حكايات الفلاحين ، وأساطير العجائز فى القرى

أفليس من المؤلم المحزن ان نجهل مادوّن الاوائل من الاساطير ، ونغدو الى ماسطره الغربيون ، نحن لا نعرف مالدينا من العلم إلا إذا قدسه الاوروبى ، نجهل فضل ماورثنا ويعلمه الغربى حكاية بنت التاجر ، يقصها العجائز والاطفال فى بلادنا ، ويحذرها العلماء والبلغاء صقلها شارل الفرنسى من نحو ٢٠٠ سنه ومثلها الانجليز فى ملاعبهم ، وغبطهم الفرنسيس ، وذكروها فى كتب التربية الحديثة ، فقرأناها غالية الثمن ، عالية القدر وما مثل العلم فى ديارنا الا كمثل فلاحينا يزرعون القطن فيباع بثمن بخس ، ودراهم معدودة ، حتى اذا حلج على محالج الانجليز ، ونسج على مناويلهم رجع الينا غالى الثمن ، مضاعفاً بالعشرات ساء مثلا فلاحنا و بليغنا ان فى ذلك لعبرة وذكرى لابنائنا ، وأحفادنا ، فليفطنوا ، وليتذكروا لعلهم يرشدون

## - ٥ -

### فى تاريخه

### النيران فى النفوس

فى النفس أربع نيران ، نار الحب ، ونار العلم ، ونار الطمع ، ونار الغضب ، نار الحب كهربائيه ، ونار العلم أقرب اليها ، ونار الطمع ذات حطب ، ونار الغضب ذات فحم

هذه النيران الاربعة محرقة مؤلمه ، لكنها مختلفات ، نار الحب تشتعل وتتقد ، وتحدث نزوعا وولها ، وتأثيره ينتهى بالجنون ، وقد تثمر أحسن الثمرات فى الحياة ، وترفع الى المعالى كما قد تهبط بالمرء الى أسفل الدركات ، النظرة الاولى كحبة ، فاذا أتبعتها نظرات كن لها كغيث ، ينبتها وينميها ، فالحب إما شجرة خضراء ، وإما نار حامية متى أحسست بشهوة ، فالفسق فاسد سافل ، وان شعرت بانتعاش فى الروح فهو الشريف العالى

فان خفت فى الاول فاغضض الطرف ، أو فاصبر عند الصدمة الاولى ، فانك لاتقع فى شراكه ، واذا غضبت فاصبر

قد ذكر فى مجلس من أبغضه ، فكدت أذمه ولكنى أمسكت لسانى فسكت الغضب

## — ٦ —

### فى تاريخه

### الامم المغلوبة على امرها عرضة لفساد اخلاقها

اذا رأى رجالها خداع المسيطر الاجنبي ونهبه الاموال بالقوانين الموهومـة ، قالوا : فلنحتل لانفسنا ، ولنخص أصدقاءنا بالاموال والوظائف ، وليس للامة علينا من سبيل ، وليس بهم المسيطر اخلاصي ولن تجازيني الامة عليه ، وكثيرا ماتجهل صدقى فى عملى ، وهى عاجزة عن شكرى اذا علمت فيدخل فى واد كثير الثمرات ، ولم أر فى عظماء تلك الامم وقوادها من سلك سبيلا غير هذا ، إلا من رحم ربك وقليل ماهم

---

## — ٧ —

### يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٠٩

### حسد الامراء للعلماء

الامراء فى الامم الجاهلة يحسدون العلماء على ما آتاهم الله من فضله ، فيبخسونهم حقوقهم ، ويهضمونهم لسببين ، الاول : انهم عجزوا عن مواهبهم العلميه ، وثناء الامـة عليهم ، وهى فى الغالب تسلقهم بألسنة حداد ، الثانى: انهم يبغضون الظلم والظالمين ، ويظهرون

للناس عيوبهم ، وفساد اخلاقهم ، فيبغضهم الناس لما انكشف من سوءاتهم فلهذا كره الامراء اكبر اكابر الحكماء ، كما اتفق لسنيكا الحكيم الرومانى مع ملك الروم واضطهده

## - ٨ -

### الحشرات تأكل مما نلبس ، وتلبسنا ما تأكل

حشرة القطن تبيض على ورقة القطن ، فيصير البيض دودا ، فيكون الدود حشرة ابى دقيق ، كمثل دودة الحرير تبيض فينقلب الدود الى شرنقة كشرنقة دودة القطن ، تلسج على جسمها خيوطا من الحرير ثم تنام فيها ، فاذا ثقبتها بعد ان صارت حشرة ، فذلك القز وان ماتت فيه فهو الديباج ، لبسنا الحرير من نسج الدودة ، آكلة التوت، شقيقة دودة القطن

خلق الانسان عارى البدن ، مضطرا للملابس تقيه الحر والبرد ، فزرع القطن وأجرى له الانهار وسقاه ، وقام عليه فاورق . فاستوى على سوقه واخرج شطاه (أى افراخه) فصار مرعى الدود ومهده ، وقصورا خضرا تأوى اليها الحشرات ، فتنعم برعيه ، وترتع وتلعب ، وتعيش آمنة مطمئنه ، فسلط الانسان عليه فجمع ورق القطن واحرقه ليحرق البيض والدود ، ليحشر لعالم الارواح ، ودودة الحرير نسجت كرتها لتكون لها مهدا وثيرا ، وقصرا مشيدا ، وحصنا منيعا ، فاتخذها

الانسان لنفسه حللا خضراء وحمراء و بيضاء ، و زفت فيه العرائس للازواج ، فيا عجبا زرع الانسان وسقى : وقطع الحشائش فسكنت الدودة ، و باضت الحشرة . واستحلت المرعى ، فاضحى و رق القطن مرعاها الخصيب . وقصرها المنيف . وجنتها العاليه . وحصونها المنيفه . ونسجت الشرنقة الحريرية على نفسها وقاية من الحر والقر . فلبسها الانسان . وفخر بها الملوك والامراء . وذوو الثروة . وأبناء المال . الناس يزرعون . والحشرات تحصد وتأكل . والحشرات تنسج والناس تلبس . كلانا يخدم صاحبه وهو يريد نفسه . وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة . سبحان الله وتعالى عما يشركوه

— ٩ —

يوم ١٤ سبتمبر سنه ١٩٠٩

حديث رجل جاوى

فى هذا اليوم حدثنى رجل من أهل جاوه مفكر قال : لما كنت فى بلادى انطلقت للرياضة ليلة حتى اذا كنت بجانب الجيش الهولاندى سمعت موسيقى تصدح . ورأيت أنوارا تتلألأ فى الحجرات . وعساكر فيها يضحكون . ويرتعون ويلعبون . ليس هذا المنظر غريبا بل يشهده الناس أجمعون . انا انما ذهبت للرياضة

ولكن فيه سر عجيب ، يتخلى العقل من شوائب . وتفتح له أبواب العجائب العساكر من واد سحيق. ليسوا من ابناء جاوه . تبوءوا أجمل مكان فى بلادى . انهم لفى قصر مشيد . انه على شاطىء نهر . قال هنا وقفت أسائل نفسى ، واسائل فلاسفة الامم . وحكماء الانسان . أعند اولئك القوم حكمة مما يزعمون . عجبت لهذا المشهد . وحق لى أن اكون من المتعجبين.

أيسوغ فى شرائع العقل . ونواميس الطبيعة ان يعدل عن اتخاذ العسكر من أمة . ويجلبون من اخرى . فى اى شرعة من شرائع الكون . أيها الانسان ما اظلمك واجهلك . ايها الفلاسفة ما أقل علمكم . واكثر طمعكم وشرهكم . أين فلاسفة الامم ؟ أين عقول العقلاء ؟ لكل حيوان سلاح . ولكل نبات جافظ خلق معه . خلق مع الثور قرنه . ومع السبع مخلبه ونابه . ومع الجاموس قوته . وعظم جثته . ومع الفيل بطشه وهيكله ونابه العظيم . ومع الجمل أنيابه وحقده وللارانب سرعة العدد . بل للزنبور ابرته . وهكذا النمل وسائر عالم الحيوان سرى على هذا القانون . من ذا رأى ثورا استعار قرن آخر او سبعا قلم أظفار صاحبه . وسيطر عليه واستخدمه . أمن ذا شاهد خلية نحل قلعت إبره . وسلط عليه آخرون . يأكل الحيوان الحيوان . يسطو عليه فيحين اجله . تلك خلة معهودة فيه . لكن نزع السلاح . وتقليم الاظفار . لم يعهد فى الحيوان غير الانسان

خلق الله لكل امة رجال اشداء . عينتهم الفطرة الالهية لتدرأ الاعداء . وتدفع المهاجمين . جاء قوم آخرون فنزعوه سلاحهم ،

أنزلوهم منزلة الحشرات والبقر ، لا بل النبات والشجر ، بل الجماد
والحجر ، فلكل حيوان سلاحه ، ولكل نبات حافظ من شوك ،
أو طعم كريه ، أو لون قابض ، أو جمال جاذب يدعو الحى لحفظه
فمن أين جاءت هذه القضية للانسان ؟ من أين اخترعها ؟ ومتى نزول
الخزى والعار ، والوصمة والشنار ؟ كأن الانسان كلما علا كعبه
فى المدنية استنزل بعد عز الفضيلة من مراتبه ، وأودع حفرا الغباوة
وشقاوة الشيطان الرجيم . الانسان على هذا الفعل يضارع الشيطان .
أين الفلاسفة وآراؤهم وتعاليمهم ؟ فرحماك اللهم ان الناس غير واخلفك
انهم فى ضلال مبين .

---

## — ١٠ —

يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠٩

### منظر الملاعب

عبرت الشاطىء الغربى ليلة ونظرت ملعبا هناك ملاصقا للقنطرة
وهو مزين جميل ، ذو معارج عليها يظهر اللاعبون فيها أنوار لامعة ،
وأضواء باهرة ، ومشارب مختلفات ، ومناظر ساحرات ، وملاعب
مفرحات ، شبان وشابات . يتسابقون بقباقيب بها يزحفون ، اختلط
فيها الافرنجى بالمسلم . والشرقى بالغربى . فنظرت ذات اليمين وذات
الشمال ، فراعنى منظرهم ، وساءنى مخبرهم ، أى قومى ؟ أأنتم من

اللاعبين ؟ أأنتم من الجاهلين ؟ يلعب الافرنجى . وما لكم وللعب ، للعب قوم زرعوا فحصدوا ، وهم الآن يأكلون مايخزنون . أين مازرعتم أنتم ؟ وكيف يرتع ويلعب من يرى أنه أسير مقيد . أتلعبون ولم تنالوا من الحياة الشريفة قسطا ، ومن العلم نصيبا ، إعملوا على مكانتكم إنا عاملون ، وانتظروا إنا منتظرون .

---

## — ١١ —

يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٠٩

برنية زجاج فى شارع عبد العزيز

رأيت برنيــة من الزجاج صفراء واسعا أسفلها ، ضيقا وسطها متبعجة قليلا باستدارة من أعلاها ، هذه البرنية مملوءة ماء ، راقبتها إذ هى تستقبل كل راكب وماش ، وكل عربة وقطار ، فترسمها فى جوانبها رسما مصفرا ، يرى من أمامها صور تتحرك فيها ، مصفرة اللون كلونها ، يجزى الانسان عن النظر الى الطريق وسالكيه بالنظر فيها هى مرآة الصور المتحركة فى السبيل ، تشكل كل مار عليها بهيئته وتصغره على مقدار ما يناسبها الناس فى الطريق المستقيم ، يسيرون وهى ترسمهم فيها ، سائرين على خط منحن ليس بمستقيم - أليس فى ذلك عبرة ان فى ذلك لذكرى ، إنها تغير اللون ، وهيئة السير ، ومقــدار الحجم ، تلونها بالصفرة ، وتسيرها بخط منحن ، وتشكلها بالتصغير والاحجام فى أنفسها كبيرة بالوان مختلفة تسير على

خط مستقيم ، هكذا الناس فى الحياة الدنيا ليس لهم حظ من العلم الا مصغرا محرفا ، يعلمون ظاهرا من العلم وهم عن الحقائق غافلون ، أبناء السبيل مثال المعلومات وعجائب الكون والبرئية مثال عقولنا وخيالنا علومنا أمثلة وتقريب ، والمعلومات اجل واعظم ، وابهى وابهر ، المعلوم يكون فى العقل بحسب جوهره ، لا على مقتضى حقائقه عقول الناس مختلفة لا يتفق منها اثنان . واشكال المعلومات فيها تكون بحسبها تصغيرا وتكبيرا وتكوينا .

هكذا القائمون بأمور الامم الحاضرة ، إنما يعلمون ما شاهدوه فى مراتبهم وهم اعوانهم وخولهم ، وينقش فى صحائف عقولهم على هذا المنوال

شاهدت الصور المتحركة تلك الليلة فقلت فى نفسى : بم يفرح الناس أبصور خيالية ، كبرها القنديل السحرى ، ان المجانين والحشاشين جميعا لهم القدح المعلى فى ابتداع الصور فى خيالهم ، الخيال قوة هائلة عظيمة

## — ١٢ —

يوم ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٩

### يصدون عن السبيل

أللهم اليك أشكو ، رغبت فى العلم والفضيلة من ايام صباى واعتنى

فلما أن جاء العمل وضع القائمون بالامر امامى عقبات ، اردت ان اكون ليلى ونهارى عاملا للبلاد ، بل للانسانية العامة ، فقامت طائفة من عبادك يصدوننى عن السبيل ، ويحسبون انهم مهتدون ،

اللهم انى عاهدتك من ايام شبابى ، على ان اقدم حياتى كلها فى خدمة امتى إذ أنت أريتنى نورا ، وألهمتنى حكمة ، ولقد تعلمت حظا ، ونلت نصيبا من ذلك ، وها انا اريد العمل فمنعنى عبادك ، فأسألك اللهم تأييدا ونصرا مبينا

---

## — ١٣ —

يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠٩

### سمعت الموسيقى

صدحت الموسيقى بالحديقة ونغماتها افرنجية ، فتاملت فى هذا الانسان وكيف كانت النغمات مقسمة على سائر هذا العالم ، من اشجار واعواد وحقول ، وطيور وحيوان ، لكل حى نغمة من نفسه اذا كان

حيوانا ، ومن غيره إذا كان شجرا او جمادا ، وكيف كثرت اعماله
ثم احتاج الى ما يخفف عنه عبء العمل وأشجانه الاعمال ، فعمد
الى المعادن فاذا بها وانطلق الى الاشجار فاقتطعها ، والى جلود الحيوان
فسلخها وتعهد ذلك بالمراس والاصلاح ، ثم جعلها موسيقى تغني
بارادته ، واخذ يصنع لها القوانين ، فاعانته على الافراح ، واشجنه
عند الاحزان ، واثارته فى الحرب ، وخففت عنه عبء الحزن ،
واصلح ذات البين عند الشجار

أنا كنت اسمعها . وأصغي الى نغماتها . فتارة تصيب مني مواقع
الوجدان . وتارة تخطيء . ولكني اذا سمعت الموسيقى الوطنية .
طربت لمسمعها وفرحت . كان الرجل لا يصونه الا حكومته . ولا
يدافع عنه الا جيشه . ولا يطربه الا موسيقاه . ولا يصيب مواضع
الداء منه الا طبيبه . هكذا قرأت وفهمت من نغمات الموسيقى

## - ١٤ -

يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٠٩

دواؤك فيك وما تشعر . وداؤك منك وما تبصر

### كيف اخدم الوطن ؟

سألني احد الشبان المدرسين ليلا قال : ماقولك فيما صنعه شبابنا
فى مؤتمر جنيفه . وهل عملهم نافع ؟ فاجبته :

ان لكل عمل جوهرا وعرضا . والعرض اسهل من الجوهر والقائم

بحقائق الامور أشد تعبا من القائمين باعراضها . وترى علماء الدين اليوم لايحضون الا على قمع النزاع بين الخصمين . والعبادات الظاهرة وهى اسهل من الاعمال الباطنة وهى جوهر الدين من الامانة . والقيام بالفضيله وما أشبهها . وهكذا ترى الاطباء متى جاءهم مريض عمدوا إلى الدواء وناولوه وهو اهون على المريض من الحمية وحفظ الصحة . وهكذا فى الافراح تراهم لايفتأون يجمعون ماراق من زينة وزخرف . ثم هم لايعيرون نفوس الزوجين من الاصلاح ادنى التفاتة . وهكذا تتحلى العروس بابهى زينة ولا يحلون نفسها باقل حلية ليدوم اصطحاب الزوجين . ويتحاب الاصحاب . ويتزاورون بالسلام والكلام . ويتجملون بالرياش الظاهر وهم عن صفاء سرائرهم معرضون .

هذه الامثال ضربتها لك لتعلم أن لكل شىء من خلق . او عمل جوهرا وعرضا . وعمل الجوهر اشق من طلاء العرض . واذا عنى بالامرين فهو خير وأبقى . فاذا هش ظاهرك للصديق وانبلج باطنك بحبه . فقد قمت بادب المحبة

هكذا الوطنية فجوهرها الاقتصاد . وترقية الصناعة والزراعة وحركة التعليم . وتعاون ارباب الفكر . والاموال على العمل والترقى وعرضه ان تسمع الامم بمقصده . وتقف على مواضع الداء والدواء . فاذا جمع الناس بين الامرين فقد قاموا بما وجب . وان اقتصروا على اشقهما فقد قاموا بالحاجة اوعلى اسهلهما . فما اقل اجداءه على البلاد فعسى ان تكون حركتنا من اول الاقسام . فتكون اولى بالاجلال والاعظام

## - ١٥ -

يوم ١٩ سبتمبر سنه ١٩٠٩

### غنى صوفى

فى كتاب التاريخ لابن الاثير، فى الجزء الاخير، انه فى سنة ٦٠٠ ستمائة اجتمع جماعة من الصوفية فى بغداد وفيهم صوفى اسمه احمد بن ابراهيم الدارى ومعهم مغن يغنى يقول :

اعاذلتى اقصرى — كفى بمشيبى عذل
شباب كان لم يكن — وشيب كان لم يزل
وحق ليالى الوصال — وآخرها والأول
لئن عاد عيشى بكم — حلا العيش لى واتصل

فطربوا وطرب الشيخ وتواجد وأغشى عليه فحركوه فاذا هو ميت اه

---

## - ١٦ -

فى تاريخه

### الفيران فى الظلماء

تذكرت انى ليلة دخلت دارنا بطولون وقد سمعت دبيبا . وحركة شديدة فعلمت انها مسابقة الفيران فى الظلماء

الفيران تجرى فى الظلماء وتعدو فى مطالبها ، فاجأتنى عند

دخولى ، أنا عالم أن البيت ممتلىء فيرانا ، ان الحركة لقوية تفزع من يجهل امرها ، لولا علمى بها لظننتها حركة لصوص ، ولفزعت فزعا شديدا ، أذهب عنى الفزع ما أعلمه من امرها ، الفيران تبيد بالهرر تصيدها فتا كلها ، أو نصب الشراك لقتلها ، او وضع السموم لازهاق ارواحها ، أليس ذلك شأن الناس فى سياستهم ، حركة الفيران فى الظلمة تذكرنا تهديد الامم القوية فى ازمان جهالة الامم الضعيفة ، يرعدون ويبرقون ، ويهددون ويقولون : أنتم ضعفاء جهلاء ، ويحقرون من شأن علومهم ، وعلوم آبائهم ، ويطمسون آثارهم ، فيخفى الامر عليهم ، ولوانهم أطلقوا أنوار العلم على ظلمات الجهل لادركوا ان ذلك اضلال ، ووبال وخبال ، لو علموا لم يخافوا ، فاذا استبانت السبيل ، وتجلت الحقائق العلمية ، اخذوا فى الاسباب فابادوا الظالمين ، واجلوهم بعساكرهم ، وأساطيلهم وجيوشهم . كما تسلط الهرر على الفيران ، او يحتالوا الكيدهم بنصب فخاخ العذاب ، واشراك القهر فيجلوهم عن بلادهم اجمعين . هذا مافهمته من حركة الفيران فى الظلماء

# ١٧ -

يوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٠٩

مدينة الفيوم

كنت فى مدينة الفيوم فرأيت سواقى بديعة ، جميلة بهية ، من اغرب ما أحدث الدهر ، وابدع ماسمعنا به ، ماء الانهار تسوقها فتحمله الى الاحواض على وجه البسيطة فيسقى المزارع ليلا ونهارا، ولا بخار ولا كهرباء ، ولا دواب تديرها ، الماء يديرها بقوة حركته الماء يجرى من اعلى الى اسفل فتصادمه أربع سوانى تسمى العلب ذات مجاديف ، يسميها العامة ( توابيت ) ولها عيون تصب الماء وعليها عوارض عريضة من الخشب ، يصادمها الماء فى جريه فيرفعها الى أعلى ، هذه الدائرات تسعى ليلا ونهارا ، تجرى بلا انقطاع ، الماء يديرها ، والماء لا يمل،أشبهت الكواكب فى سيرها لا تقف لحظة

كنت انام فى فندق يقرب منها ، أسمع صريرها وغناءها كل آن ، فكان ذلك يعجبنى ، ألا اذكر لك عجبا من امرى ، ألا تسمع عجائب الفكر وتلوه ، ألا احدثك بحديثى فانه عجب ، كنت وانا مجاور بالجامع الازهر أنطلق الى الريف ايام العطله .

وبينما كنت جالسا ليلة وساقية هناك كنا نديرها تشبه مارأيتها فى الفيوم ، تدور بالدواب فكانت تمثل امامى دور الكوكب فى السماء

انى كنت فى شغل بعلوم الازهر ، وفى هيام بالعجائب الفلكية ، وما كنت اذ ذاك لاجد من يوقفنى على شيء منها فكنت مولعا بغرائب الفلك ، اما فى هذه فانى تمثلت لى تلك المناظر بهيئة الامم ، فالبحر الامة الطاغية، والناعورة الدائرة الامة المهضومة الذكية الرشيدة، فاذا اقتنصتها الامم القوية ، واناخت عليها بكلكلها وقهرتها بظلمها ، سارت عكس ما تريد ، واغترفت من بحار علومها ، ودارت على قطبها ، وسقت عقول ابنائها ماء العلم الذى اغترفته من بحار الامة الظالمة ، لاعجب اذا شبهنا الامم الظالمة بالبحر ، فالماء حياة كل شيء ، وقد يخرب الدور ، ويهدم القصور ، ويغرق الانسان ، ويبيد الحيوان ، وبه الطوفان ، فالماء يحيي ، والماء يميت

هكذا الامم القوية تحيي أبناءها ، وتميت بسيلها الجارف ابناء غيرها ، اذا كانوا ذوى قوة وشمم اخذوا من ظلمهم قوة ، ومن علمهم حكمة ، ومن اساءتهم احسانا لانفسهم . هكذا قرأت فى النواعير الدائرات وهى تغنى ، أفليس من الغريب ان تختلف العبرة ، وتتباين الفكرة بين نظرى الاول والاخير ، فارى فى السابق كأن الفلك يتمثل بنجومه اللامعات فى انصباب الماء ، وفى الاخير سياسة الامة المظلومة العاقلة مع الظالمة . وهذا مثال جميل ، ألا ترى ان الخشبة يحملها الماء بلا علاقة تثبتها . ولا قانون يضبطها . يسير بها الماء . وتلاطم بها امواجه . ويجرى بها جريا حثيثا حتى ينزل بها فى الاماكن القاصية . والمحال المتباعدة . فتستقر فى قعور البحار والاقيوناسات الكبيرة . هكذا الامم التى لاعقول لها تديرها . ولا

شهامة تحفظها . تدفعها الظالمة الى سجن العذاب . وتدهورها فى دركات الذلة والهوان . هكذا ما كان . وهكذا ما سيكون . ولما تمت تلك الليلة وانبلج نور الصباح ، وانفلق عمود الفجر ، وسطع نوره ، وأشرقت بهجته على ذلك النهر الجارى وراء الفندق سمعت نغمات شجية . مطربة غريبة من طائر يتغنى على تلك الغصون البديعة فى اشجار ذلك النهر. نغم عجيب ! كيف اصف ما خامر القلب من الطرب . وما احدث من الاثر الغريب . فللصوت رنة تروق فى افانين الشجر . تحفها نغمات حفيف الاوراق . وتلاعب الامواج على سطح الماء تؤدى نغمات خاصة تزدوج مع تلك الاغانى الشجية وترى أنوارا لامعات ، تتجلى على سطح الماء . وكأنها تغوص فى ثناياه ، منبعثة من انوار القناديل المشرقات على الشاطىء . تستمد نورها من نار الكهرباء السارية فى الاجسام المعدنية . وكان ذلك المنظر له اثر عجيب ، ولا سيما وقد استيقظت من منامى ، وتلك حال يقوى فيها الوجدان والتأثر. وبينما انا على هذه الحال إذ سمعت من الجانب الآخر من الفندق صوت حمامة تنوح على ولدها المفقود . او حبيبها المنشود . صوت مؤلم قابض وهى فى قفص من حديد . تردد شجاها . وتتفنن فى اساليب الاشجان . فى اناشيد الاحزان . فاخذت اقارن ما بين الحرية والاستبداد . والذلة والعزة . طائران يتغنيان هذا يهيج ثائرات الوجدان . ويشرح معنى الجمال . ويذهب بالاشجان . وذلك يألم ويحزن ويشكو من الظلم والجور . محبوس فى قفصه . بعيد عن ولده . خلى من الفه . لايرد الانهار . ولا يتمتع

بقصور خضر فى ثنايا الاشجار ، يتخللها النسيم ، وهى تعلو وتسفل ، نعيم واى نعيم ، سعد به الطائر المغرد ، شقاء وأى شقاء ، حبس فيه الحمام المقصوص الجناح.

هكذا الامم الحرة ، فرحة بعزها ، ساجعة فى قصورها ، ناعمة فى ظل وارف وعز شامخ ، تنتقل من ارض الى ارض ، ومن غصن الى غصن ، تشرب ماء صافيا ، وتسجع بالالحان ، وتسر الولهان ، فاما من حبسوا فى قفص الظلم وسيموا الخسف فاولئك فى سجن واى سجن ، شرابهم ماء كدر ، وطعامهم كل فضلة وقذر ، أجنحتهم مقصوصة ، وأبناؤهم مذبوحة ، وألفهم مفقود ، وعيشهم منكود ، والافراد كالامم ، ومن الناس من حبس نفسه فى مضيق الطمع والحسد ، والبخل او الملق ، فعاش عيشة الطائر فى القفص ، فما الحكماء ، واكابر العلماء ، فانما اتخذوا من سجن الدنيا اشجارا وانهارا ، وجنات واعنابا ، ورضوا بما أوتوا فلم يمنعهم الفقر عن السعادات ، ولم يحجزهم المرض فى حجرات الشقاء ، فاطلقوا نفوسهم من حجر الطبيعة ، وتمتعوا باسعاد انفسهم ، واطلقوا العقال لعقولهم ، فنجوا من خبائث النفس ، وصبروا وكظموا الغيظ ، وسعدت نفوسهم ، وانشرحت صدورهم ، بالنظر فى جمال العالم ، وبهجة الحكمة ، فاضحت عقولهم تغدو وتروح فى رياض الارض ، وبساتين السماء ، فابهجها اشراق الشمس ، وبهجة القمر ، ونظام الكواكب ، ومر الرياح ، وجرى الانهار ، وتغريد الاطيار ، وبدائع الاشجار ، وفرحوا بما أتوا من العلم ، وحق القول على الذين

لايعلمون ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

## -١٨-

يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠٩

### احدى الاعاجيب

تناولت طعام الافطار فى رمضان عند أحد الاصدقاء وكان معنا على المائدة شاب افغانى ، قرأ الانجليزية وغيرها ، فلما تجاذبنا اطراف الاحاديث كاشفته بامر الاسلام فى سائر البلاد ، لاسيما فى الهند وانهم ينهون عن العلوم ، وينأون عنها فلو انهم قرأوا الدين ممزوجا بالعلم لتسارعوا اليها ، ولهاموا بها هيامهم بالدين ، انى آسف عليهم فهم متعصبون على العلوم ، افلا ندخل على قلوبهم من طريق الدين ؟ فقال : سأسارع جهدى لترجمة كتبكم الى اللغة الانجليزية ، ومنها ينتشر فى سائر الاقطار ،

بينما نحن فى هذا الحديث اذ طارق هندى طرق الباب فسلم فدخل وهو شاب فى الحادية والعشرين ، متقد ذكاء وحمية ، فلما أن استقر به الجلوس ، قال : انى اتيت من بلاد الهند مرسلا اليك ( يريد صاحب البيت ) وتعارف بمن بالمجلس فلما ان سمع اسمى اظهر سرورا وبهجة وقال : انه استاذى وانى أقرأ كتبه ، وجميع اخوانى طلاب مدرسة على كره ، وان لك كتابين مترجمين التاج المرصع والنظام والاسلام ( فيما اظن ) وان

شيخا هناك يدرس لهم كتابك نظام العالم والامم ، فصادف ذلك فى قلبي مواقع الوجدان ، وطربت لخبره ، وهناك ايقنت ان سر هذا الامر كاد يتم ، فلقد شعر قلبي بذلك من مبدأ التأليف ، اى من نحو عشر سنين ، وهذا بعض ما كنت ارقبه وهذا من عجيب الاتفاق

## - ١٩ -

يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٠٩

### النعجة والغزالة

تقابلت النعجة والغزالة يوما فى الصحراء فقالت الاولى : مالى ارى خصرك نحيلا ، وزادك قليلا ، تبعدين فى الفلاة ، وترتعين فى الصحراء ، وتسرحين فى العراء ، لاقائد لك ، ولا سائق ، ولا مطعم ولا ساقى ، انى لاكثر منك شحما ، واوفر منك لحما ، واعز نفرا ، زادى حاضر ، وشرابى صاف ، يقودنا راعينا الى الكلاء ، ويحمينا من التهلكة ، ويذود عنا بكلابه ورجاله ، لاتأكلنا الذئاب العاوية ولا تعدو علينا الوحوش الضارية ، اما انت فانك طلبة السباع ، وقوت الذئاب والوحوش ، فانت فى عذاب وجحيم ، ونحن فى جنة ونعيم ، قالت الغزالة :

ـ لقد أبنت عن جهلك بلسانك ، وقلت قولا أدخلك فى غمار

الضالين ، انك ماسمنت الا ليـأكلوا لحمـك ، وياتدموا بشحمك ، غفلت عن العاقبة فكثر فيك اللحم والشحم ، هكذا الاغبياء الغافلون والاغنياء المترفون ، يظنون ان المال كل السعادة وان الفضيلة فى استحلاء مرعاهم ، ألا ساء مايفهمون ، فاذا نحل خصرى ، ورق عظمى ، فذلك لانى اكثر التفكر والتبصر ، واحمى ذمارى بنفسى ، وأذود الشر عنى بعدوى فى البادية ، واتناول قوتى بفمى مما ذراه الله لا أعبد إلا إياه ، مخلصة له الدين ، ولو كره الجاهلون ، أظننت أن من رعاك يهواك ، إنما يسمنك لبطنه ، ويربى ولدك لضيفه ، يستخرج لبنـك لقوته ، ويحرم ولدك من ارتضاعه ، فليس الراعى لك بوالد انه يحميك لبلائك ، ويكلؤك ليختص بأكلك ، لايرضى له شريكا فيكن ايتهـا الجاهلات الا اسرته وابنـه وزوجته ، فأفيقى من غفلتك ، وأيقنى بجهالتك ، واعلمى ان راعيك صرف همتك عن الله اليه ، ووجه قلبك اليه وجعل اعتمادك عليه ، فصار حجابا بينك وبين الله ، فانت على المخلوق تتوكلين ، واليه تجأرين ، فيقودك الى مايهوى ، ويرعاك فيما يرضى ، ويوردك الموارد ، ويحميك من المهالك ، فصرت له فريسة وحلا ، فلا يراعى فيك ذمة ولا إلا ، أما انا فبنت الحرية ، وسليلة الامم القوية . وأما انت فابنة الدولة المقهورة . ونسـل العبيد الاذلاء . سلبتن العقول فامـدت بها عقول الرعاة . وحرمتن المال والجاه . هكذا كل امة أذلها الطامعون . يطعمونها ليأكلوها . ويذودون عنها بالسلاح لينهبوها . ويحرموا عليها حمل السلاح ليجبنوها . ويحوطونها بجيشهم ليرغموها . ان الملوك إذا

دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون



## ٢٠

## حكاية

حكى ان النحل ذات يوم تآمر على قتل طائفة الذكور منه فى خليته فاستعد المتآمرون للمهاجمة . وقاموا للمواثبة . حتى أفنوا جماعة الذكور فقام منهم خطيب ودعا عليهم بالثبور . وأنذرهم وحذرهم . وقال لقد قتلتم نفوساً بريئة . واخواناً صادقين . واخداناً صالحين . أما علمتم ايها الظالمون ان قتل البرىء ظلم . لاسيما من كان من الارحام . فاتقوا الله الذى تساءلون به والارحام

فقام رئيس الجند وقال : ماذا تنكر علينا . وماذا تبتغى منا . هؤلاء اخواننا ولكنهم عاطلون خائنون . يأكلون العسل ولا يعملون ويدخلون الزنابير علينا فيشركونهم معهم فى اكل ماجمعنا . وحصد مازرعنا . أما كفاهم انهم عالة علينا . يأكلون ولا يعملون . حتى خانوا فاطعموا معهم الزنابير ونحن نقاسى اتعاب الحر والقر . والحرور والزمهرير . نطوف على الاشجار . ونشتار عسل الازهار . ونبنى مساكن البنين . واقراص الشمع . فنضع النسل فى اماكنه . والعسل فى بيوته وهم لايعلمون بل ظنوا انفسهم سادة ونحن عبيد . لايتخذون منا وزيراً . ولا اميراً . واذا قيل لهم ماهؤلاء قالوا عبيدنا . ثم يسلقوننا

بالسنة حداد ، ويقولون ما هؤلاء الا عبيد بربريون ، وخدم مقهورون ، هكذا كنا نسمعهم يقولون فى حضرة الزنابير الهاجمة ، فكم أعزوهم بنا ، وقالوا انهم فلاحون مهينون ، وعبيد مسخرون هؤلاء لنا غائظون ، وانا لجميعا حاذرون ، فاهلكناهم انهم كانوا ظالمين ، وقتلناهم ودمرناهم بما كانوا يصنعون ، ألا ساء ما كانوا يفعلون ، أبلغ بنا ان نذل لهم كاذله النفوس من بنى الانسان ، لمن كانوا ظالمين ، ياكلون مايجمعون ويسيئون اليهم وهم يحسنون ، فاذا ملؤوا بطونهم و بنوا قصورهم وحلوا بذهبهم ابناءهم و بناتهم ، طافوا فى انحاء البلاد ، يسلقونهم بالسنة حداد ، و يقولون انهم عبيد الآباء والاجداد ، ولا زلنا نفعل هكذا كل سنة فى فصل الربيع فنمير اهلنا ونحفظ اخوتنا ، ونزداد عسلنا ونقتل اعداءنا ، وان كانوا من اخواننا ، ان الله لا يهدى كيد الخائنين .



## – ٢١ –

### ( ما تجمعه القوة الشهوية تفرقه القوة الغضبية )

فى هذا اليوم سنحت لى سانحة اثناء تعبي ، وهى ماجمعته القوة الشهوية البهيمية فرقته و بعثرته القوة الغضبية السبعيه ذلك ان الناس يشتهون الذرية بالقوة التناسلية ، و يتزوجون و يولمون الولائم

ويذبحون الذبائح ، فرحين بالاحفاد ، والبنين والبنات ولا جرم ان هذه قوة شهوية بهيمية ، فاذا ما غضبت امة على امة وآذنتها بالحرب ، واعلنت عليها القتال اخذت المدافع تقصف والقنابل تحصد ، والرماح تميت ، والسيوف تبيد ، أفليس ذلك من شأن القوة الغضبية ، او ليس ما جمعته القوة الشهوية البهيمية بفرحها فرقته القوة الغضبيه بظلمها وقسوتها ، او ليست هذه الاخيرة من القوى التى سخرت لعزرائيل ، والاولى الشهوية من القوى المسخرة لاسرافيل ، الله اكبر ، ان القوة الالهية الكلية شاملة كل قوة علمية وعملية ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين .

---

## — ٢٢ —

يوم ٨ اكتوبر سنة ١٩٠٩

كنت فى حلوان منذ ليلتين ، وأشرفت من النافذة الغربية بحجرة بعد الفراغ من الافطار فى رمضان ، وشاهدت نظام مدينة حلوان ، والليل مخيم على مساكنها ، واضواء المصابيح متقدة لامعة ، تنفذ اشعتها فى جوف ذلك الظلام السحيق ، والسماء من فوقها مكللة بزهر النجوم المتوهجة المتلألئة ، فلمحت منها خطى درارى يتلألآن ويتهجان وكانهما فى حركة المرتعش ، نجومهما من ذوات اقدار والوان ، مختلفة منها الحمراء والبيضاء ، وقد رسما زاوية سطحها الزرقة ،

وتحيط بها اكناف السماء ، ذات اللألاء والبهجة ، هنالك اجتذبت
تلك المناظر كامنات الافكار ، وهاجت الادكار ، فطفقت اذكر ايلم
الحياة وماذا قدمت للموت ، واخذت اجيل الفكر فيما حققت
من وصف العوالم المشاهدة ، وماذا قدمت من العمل

## - ٢٣ -

### ( الحكمة عند الاطفال )

امر طفل ان يصافحنى ، فحول وجهه و بكى ، فاخذوا يلاطفونه
وكانهم ظنوا هذه الخصلة تنافى الادب فى الاطفال ، فقلت لهم هذه
حكمة رائقة ، أرأيتم أن جاء رجل لاتعرفونه فابحتم باسراركم والقيتم
بانفسكم بين يديه ، أفيحسن ذلك أم أنتم مخطئون،فقالوا بل مخطئون
فقلت ألا هكذا فلتفهموا ما فعل هذا الطفل ، لقد اودع فى نفسه ألا
يثق بمجهول ، وألا يعول إلا على التجربة ، وألا يقلد فى فهم حقائق
الاصدقاء والاعداء ، فما دام الناس مجهولين لديه ، فالقضية واحدة
يجتنبهم ويتركهم ويتباعد عنهم ، وهذه عبرة ، فلننسج على منوال
ما أبرزه لنا الاطفال من الحكمة ، ولقد تبدت فى ثوبها القشيب
فى حكايات الحكماء الهنديين الذين قالوا ( فى كتاب كليلة ودمنة )
ان برغوثا ضاف قملة فى فراش رب البيت ، فوثب البرغوث فامتص
جرعات من جلده ، فاستيقظ وهب يبحث عن الجانى الاثيم ، ففر

البرغوث ووقعت القملة فى شر عمله ، فنجا المذنب وهلك البرىء ،
وهذا بما قصرت القملة اذ أضافت مالا علم لها بحاله . أفليس خطأ
الناس وجهلهم بما سنه الله فى العالم وما اجراه على طبائع الاطفال من
الحكمة ، حدا بالعلماء الى كشف الغطاء عنها بضرب الامثال
والاحتيال بالتصوير والحكايات عن الحشرات وصغار الحيوان.

---

## -٢٤-

### ١٢ اكتوبر سنة ١٩٠٩

### ( لا تذكر عملك بالاعجاب )

ما أقبح أن يذكر المرء تأليفه وكتبه ، وذكاء إبنه وقوة نفسه
فليلجم المرء لسانه وليحفظ حديثه عن الخوض فيما فيه مدح لنفسه،
أولما له به علاقة ، إنما العجب أن يعلم الانسان مذمة مثل هذا ،
ثم ينساه أو يتناساه بحكم التقليد أو الغفلة .

### - فى تاريخه -

### (تفسير آية)

قال قائل امس إن أبا حنيفة رضى الله عنه يامر بقراءة القرآن
وتعقله فى الصلاة، ولكن أهل العلم يقولون لا يعرف القرآن الا بالعلوم
الا لية كالنحو والصرف والمعانى الخ ، فماذا نصنع ، فقلت لكل
وجهة هو موليها ، ولتعلم أن الامر فيه تفصيل وانى أذكر لك ما

سمعته عن أحد الفضلاء فى صلاته كان يقرأ (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون) قرأها فى صلاته فى جوف الليل وأخذ يكررها مراراً، ثم فكر كيف أنزل الله علينا لباساً الا انما اللباس مخيط بيد الخائط، منسوج بيد الناسج مغزول بيد الغازل، محلوج بالمحلج مجنى من أشجار القطن فى الحقول، وهى زرعت وسقيت والبزر كان موضوعا فى الارض، فسقى بالماء والماء مسوق بيد الهواء، المتحرك بحرارة الشمس وغيرها، والشمس حركها الله الذى وضعها ووضع جميع ذلك، هكذا فكر المصلى فارجع الانزال الى ذلك المعنى العجيب وقوله وريشا الثياب المتجمل بها الغنى ولباس التقوى ذلك خير من اللباس المنسوج، ثم قال ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون) فسر الحاضرون سرورا عظيما

## مسألة أخرى

### الشهوات تمنع من رقى الامم

قيل لى ان الوطنيين ليست عندهم عزيمة للعمل، فقلت قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله، وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) الناس انما ينهمكون فى اعمالهم لابائهم واصلاح ذريتهم واخوانهم، وارضاء أزواجهم وأقاربهم

وتنمية اموالهم وربح تجارتهم وتشييد منازلهم ، فاذا كانت هذه أحب الى الناس من المصلحة العامة فان الله أنذرهم بعذاب الاختلاف وضياع الامة جزاء وفاقا ، فانهم لما اغرموا بالامور الخاصة ونبذوا الحال الاجتماعية اسرع اليهم العطب ودخلوا فى حوزة امم أخرى وظلوا مع الهالكين

---

## - ٢٥ -

يوم ١٣ اكتوبر سنة ١٩٠٩

(الشاعر الموسيقى)

تذكرت أنى مررت على الشاعر الذى يحمل الربابة ويتغنى بها والقوم يستمعون له وهم به فرحون ، وله مصغون ، فقلت إن هؤلاء القوم مصغون له اكثر من اصغاء التلاميذ لاساتذتهم فى المدارس ، وهم بحضرته أجمل أدبا وأرق شعوراً ، واوفر حبا من التلاميذ لاساتذتهم وأغزر فهما ، أفليس من العجيب ان يتأدب الجاهلون ويستمع الغافلون ، ويتصف بالشغف بالعلم الجاهلون ، ان فى هذا لبلاغا للمدرسين ، إن هذا الشاعر المدرس لطبقة العمال يرقق شعورهم ويلطف وجدانهم ، لما يسمعون من نغمات الموسيقى ، وزينتها وبهجتها ، ان الموسيقى ترفع النفوس الى أعلى مكانتها ، فياحسرة على بلادنا جهلت فيها طرق التعليم ، وحق القول على اكثرنا افليس من العجيب ان يحسن فن التدريس شاعر جاهل فى نظرنا ويحرم

منها كثير ، ان هــذه الطريقة الجميلة ورثها هــذا الشاعر ذو الربابة عن اسلاف ورثوها عن امم منقرضــة سحيقة مجهولة كانت تدرس فى مدارسها ، ومع كل مدرسة موسيقى تصدح اذامل التلاميذ ما يسمعون ، وتثير النشاط وتحيي القلوب اذا هم يكسلون ، انقرضت تلك الامم وحفظها اولئك العامة ، وكانما ادمغتهم مخازن تلك البذور بذور اقرب طريق للتعليم حتى اذا قيض الله للبلاد مدنية احسن انبتت هذه البذور نباتا حسنا فى أرواح المعلمين وعقول المدرسين

قال لى الاستاذ ادوارد برون الانجليزى ان عندكم لكــنزاً ثمينا ، انكم عنــه ضالون ياليت فى بلادنا شعراء يهذبون العامة كشعرائكم وياحسرة على أهل بلادنا الانجليز ، اولئك لا يرجعون من حقولهم وصناعاتهم الا الى الحانات والخمور اولئك فى ضلال مبين ، لا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ، ولا أدب لديهم ولا تهذيب فهنيئا لــكم بما ورثتم عن آبائكم الاولين

ألا ان للموسيقي أثراً كبيرا فى تهــذيب النفوس ، ولقــد علمت من بعد ذلك ان مدرسى مدارس الجزويت والفرير يصطحبون معهم آلة الطرب فى الدراسة ويطربون التلاميذ بالالحان ، وتارة ينشدون الاشعار على الآلات فتمتزج الاغانى بالعقول والارواح ، ان فى ذلك لعبرة وذكرى لمن يعقلون

# - ٣٦ -

## ( الميراث )

### مسألتان الاولى

نرث من النبات حبه ولا يمكث أكثر من سنة غالبا ومن الشجر جذوله ، انها كثيرا ما بقيت أمدا طويلا عشرات السنين ونرث من الحيوان جلده وعظمه ، وقد تتطاول أيامه ويمكث عشرات السنين أيضاً اما الانسان فقد اختلف ميراثه على حسب همته فى حياته فنهم من لا يورث الا متاعا وفراشا لا فرق بينه وبين النبات والحيوان ، لن يبقى أثره الا اياما أو اعواما ، مر على الارض مرور النسيم وكتب على قبره ( انه مات فى الهالكين ولا عمل له فى الباقين ) ومنهم من تتجلى آثاره بعد موته وترسل نفسه العلية اشعة من قبره تضىء على الناس اجيالا ودهورا نعم ذلك هو الانسان الذى تحققت انسانيته وبعدت همته ، وهو وارث المرسلين انا معاشر الانبياء لانورث ما تركناه صدقة ان من الوارثين من لا يهمه الا ما متع البصر وأشبع البطن وكسى الجسد اؤلئك هم الابناء ابناء النسب وإن منهم لفريقا يستحبون ميراث الحكمة وتراث العلم اولئك هم أبناء التعليم ، الا انما ميراث الاولين

متاع وميراث الاخرين فخر الابد وشرف البلد وذكر فى الآخرين وبهجة وثواب يوم الدين

اذا مرض ذئب أكلته الذئاب ، واذا مات الانسان استبدل الاطباء أكل جثته بقراءة الحكمة العلمية فى تشريحه ، ودرس نظام عظامه وعضلاته وتشعب عروقه وحكم دماغه وكشفوا عن طبقات العين وتلافيق الدماغ وفقرات الظهر وأعضاء الصدر ثم اودعوه فى العقول ورسموه فى الصحائف وجعلوه نورا يهتدون به فى ظلمات العلاج وغياهب الامراض اولئك حقا هم الوارثون والنتيجة أن خير المورثين من أورث الناس أثرا خالدا وخير الوارثين من انبعثت همته الى أفضل الامرين لقرن همة الرجل بشغفه ببقاء اثره فى الغابرين والتنقيب على حكمة الماضين الا فلتكن اكرام المورثين وأفضل الوارثين

المسألة الثانية

( صبية فى المهد )

صبية فى المهد أفضل من عظيم فى الامم المقهورة — رأيت صبية تتناول الطعام مع أبويها سنها سنتان ونصف طلبت من أبيها أن يناولها شيئا من الفاكهة فاسرعت امها اليها فناولتها ، الصبية أبت وبكت ، الا أن الصبية تعلم انها من نوع الانسان ، تعلم انها من نوع تعالى عن الحيوانية وترقى الى عالم أعلى ، ان الفتاة تابى ان تقنع بعيشة الحيوان ، تابى ان تاخذ الفاكهة من امها وقد أمكنها

أن تتشرف بمناولة ابيها لها ، شرفت نفس الفتاة بفطرتها
فطلبت أعلى الامرين الكرامة والغذاء ، ان الحمار لا يأبى أن يأكل
العلف اذا قدمه الخادم ، والحصان وهو ازكى من كثيرمن الحيوان
لا يأنف أن يأكل ما قدمه له سائسه ولا يفكر فى اطعام سيده ،
ويقال ان الفيل لا يأكل الا اذا مسح واكرم فقربت فطرته من
الانسان ، النفس العظيمة تابى الدنايا والنفس الدنيئة يكفيها سد
الشهوة البهيمة والسبعية ، فى بلادنا كثير ممن يقدرون على اسعاد
امتهم وتقوية الرابطة بينهم وهم يتملقون ويخضعون وما علموا ان
شرف الرجال باعمالهم الحقه وأفعالهم الحية ، اولئك هم الصادقون ،
يقبل مديرو السياسة فى الامم الضعيفة التى غلبها الغاصبون ويرضون
ان يكونوا الآن جبناء ، أليسوا فى نظر الحكمة مساوين للحيوان ،
ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ، ويأكلون
كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم ، الدواب عملت ما خلقت له
فليس عليها أذن تكليف والانسان بفطرته مائل للرقى قابل للشرف
محب للعلو بطبعه له وجدان وعقل تنزلا من سبحات الكمال ومناط
الربوبية والعالم الاعلى ، فاذا تنزل عن سعادته فقد جنى جناية الظالمين
وكفر بنعمة الله واذاق نفسه العذاب المهين وما ظلمناهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون ، اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون

## - ٢٧ -

### يوم ١٦ اكتوبر سنة ١٩٠٩

مررت بشارع الصليبه سائراً الى ميدان السيدة زينب فرأيت عربة تجرها حجر (فرس) يتبعها ولدها ، سائق العربة يضرب الفرس ويهينها بقارص القول وشنيع الشتم يذللها فى الطريق ، إن السائق لظلوم كفار ، ان ولدها يتبعها فى خطواتها السائق يظلم الفرس ، ويذلل ابنها لقبول الظلم فاذا امرها بالمسير واذا وضع اللجام فى فمها واذا سبها واذا ضربها بلا ذنب بمسمع من ابنها ومرآى من فلوها سرت الذلة من الام له وتطبع على الاهانة ورضى فى صباه بالذلة ورضخ للهوان من يهن يسهل الهوان عليه

هذا الفلو الصغير من فصيلة الخيل السريعة السير ورث الذلة عن أبويه العائشين فى المدن ، انه لمن أصل كريم ، لو انه القي عليه درس الحرية أياما لرجع الى فطرته الاولى ، هاك خيل الاسبانيين اذندت طائفة منها فى حرب امريكا وجرت فى سهولها وسارت فى صحاريها فتوالدت وتكاثرت وتأبدت وتوحشت واضحت اليوم تعد بآلاف الالوف، انها كانت اسيرة فى ايدى الاسبان فاضحت اليوم ترتع وتلعب فى حريتها وسعادتها ، ان فرسنا الجارة للعربة ارضعت ابنها لبن الذلة وجرى معها ينمو فى الهوان ، هكذا يورث

الامهات أبناءهن أصول المذلة ويرضعنهم عناصر الخضوع والرضوخ ، الا انما العربة فى مثالنا الامة المظلومة والحجر رجالها والفلو أبناؤها والسائق الامة الظالمة وكلمات السائس دروس التعليم فى المدارس ، يقولون لهم انكم قوم جاهلون وامتكم أحط الامم ولا فضيلة لآبائكم ونحن نطعمكم ونسقيكم وانتم من الامم الذين لا يعقلون

لعمرى فعل الانسان بالانسان ما فعله بالحيوان ، ان الانسان لظلوم كفار ، الا انبئكم بدواء ذلك الداء ، الا انما الدواء ان تلقى على الابناء دروس الحرية وليعلموا انما نلقوه من المثالب والنقائص افك وزور فلتفعل الامه ما فعلت خيل الاسبان

خلق الانسان حرا وكفى فى ان يرجع لحريته أن يتلقى دروسها فى بضع سنين ، الا ليقل المدرسون للشبان انكم من خيرة الامم وانتم افضل العالمين ، وليكن هذا ديدنى بعداليوم فلا اخضع للايام ولا اذل للحوادث وساتخذ المصائب نبراسا للهدى ولاشتق من النار نورا ومن الضعف قوة ومن ظلمات الظلم فجرا ونورا ، الا ان البلاد فى ظلام حالك الا انما عقول العقلاء كواكبها المشرقة وبدورها المتالقة وفجرها الساطع ، فاذا اكفهر جو البلاد بسحائب الظلم فلتبدد شموس العقول تلك السحب ، واذا عسعس ليل الجور فليتنفس صباح الحكمة فى نفوس الابناء فان آية النهار تنسخ آية الليل وسيكون شعارى (كنتم خير أمة أخرجت للناس)

## - ٢٨ -

﴿ سانحة فى النفس ﴾

ان فى النفس الانسانية لسرا ان فيها لجمالا باهرا ، ان فيها لحبا للجمال و بهجة بالصور البديعة الا انه ليعم سائر الناس ولبعض النفوس اشراق خاص وحبور ولذة يجهلها سواهم وجمال يتجلى على العالم من حيث نظامه و بهجته ، وقد يغشاهم سرورهم بتجليات ومعان رائقة حرم منها الاكثرون وليس يعلم عامة الناس من الجمال الا ظواهره ولا من الصور البديعة الا ما علمه الحيوان ، ونفوس الاحرار قبور الاسرار

## - ٢٩ -

يوم ١٧ اكتوبر سنة ١٩٠٩

( اخلاق الصوفية فى الغرب )

فى كتاب اميل القرن التاسع عشر او التربية الاستقلالية قرأت ان فى بعض مدارس انجلترا يخدم صغار التلاميذ كبارهم من اى طبقة ولقد يسوم المخدومون الخادمين سوء العذاب و يرهقونهم بما لا يطيقون و يؤذونهم وانقد يكون فيما بعد هؤلاء المخدومون خادمين

لمن خدموهم لما اوتوا من ثروة وما نالوا من تراث وهذه فائدة تجلى للامم التى تتربى على هذا المنوال ليرى الاغنياء شرف الاعمال الصغيرة ولا يحتقرون القائمين بها فيكون بينهم و بين اولئك الفقراء صلة ولا يستكبرون عليهم وان هذه تبعث نشاطا فى حركة الشاب وقوة فى جسمه وتطرد عنه حب الكسل ، فيصبح بعد رجلا خادما لا متة فى علو درجته ، هذا معنى ما فيها ، هذه معان عالية وجميلة ، ان امثال هذا فى كلام الاوائل مدون كتبه الغزالى فى الاحياء قد يربى الصوفية تلاميذهم على هذا النمط ، يعلمونهم الكرم يامرونهم أن يتخلوا عن ملك بعض ما يحبون ، وبالانتقال من مكان ألفوه الى مالا يالفونه فاذا رأوا التلميذ مغرما بحب نفسه مهتما بجسمه كانه عروس أنزلوه فى قاعة الطبخ ليصلح الطعام لاخوانه ويقدم النعال للابسين والطعام للآكلين والماء للشاربين حتى يتسم بالتواضع وحسن الخلق وينزل مع الناس ، إن أسلافنا برعوا فى هذا المعنى وتوسعوا الى الله الشكوى من جهل فاضح بعلوم أسلافنا ملأوا الدنيا صراخا والارض صياحا وقالوا ليس فى الشرق علم وهكذا قالوا حتى تنازلنا عن عوائدنا الموروثه وعلومنا المرسومة وجادوا علينا بفيض من غيض قشور علمهم فغمطنا حقوق الاولين وجهلنا سيرة الآخرين الا فلنستخرج الكتب من اماكنها ، ولتستخلص العلوم من خزائنها ، وليقم العلماء بالامر فقد فسد الزمان والمكان ، وأصبح الناس فى غفلة معرضين ان حراما فى مدارسنا ان يخدم التلميذ استاذه او الاكبر منه فيخرج ابن الكبير العظيم كبيرا او عظيما اى لا يبالى بالامة فحق على الامة اليوم ما نحن به عالمون

## - ٣٠ -

### ﴿ النعامة والمتعلمون فى اوربا ﴾

للنعامه ارجل كالبهائم ، وتطير باجنحة كالطير حتى انها تحسب فى الطيور وفى البهائم ، وقد لاتعتبر من احدهما وقدتكون مع الطير وقد تكون مع البهائم ، الطيور ذات اجنحة ، الحيوان يعدو على الارض فهى تعدو لكن الطيور لاتعدو فهى منهما على وجه وليست منهما على آخر ، هكذا المتعلمون فى أوروبا من ديارنا ، منهم من أصبح وطنيا صادقا ، ومنهم من افتخر بانه افرنجى مترب ، ومنهم من جاء بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، وان النعامة رمز حيوانى للأمم المهضومة التى اغتصبها الامم الاجنبية ، ان لله لسراً عجيبا انه لطلسم عجيب ، ههنا كشف طلاسمه وفك رمزه ، انه وضع حيوانا على شكلين طائر وماش انه سر عجيب وتمثيل حال التلاميذ من الامم الضعيفة ، يسافرون فيرجعون وهم ازواج ثلاثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنه وأصحاب المشأمة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون ألا فليكن للامة تعليم وطنى عام يتناول سائر الطبقات فلا يشذ عنه فقير لقلة ماله ولا غنى لكبريائه

قال لى رجل من جاوه عاصمة جاوه انى شاهدت فى بلادى ايام الاعياد صبيات عليهن البرانيط (القبعات) تشبها بالافرنج فهن كالنعامة فملابس الجسم شرقية وملابس الرأس غربية وكانما هى

رمزان الحكومة والتعليم فى بلادى افرنجيان ، ان الحكومات رءوس الامم والعلوم مناطها الرءوس فكان وضع (القبعات) على الرأس اشارة الى تفرنج رءوس الحكومات و رءوس الافراد فى بلادى فصارت الامة كالنعامة والامران فى تنازع وشقاق فان غلبت الافرنجية كما حصل بالاندلس قديما وانذرهم به ابن خلدون اذ قلدوا الافرنج فى ملابسهم وما كلهم وأعمالهم فهى الطامة الكبرى والعياذ بالله ، وان علت الصفات الوطنية والدينية زال العدو واستقلت الامة ، ما دخل الافرنج بلاداً الا فتحوا عقول ابنائها قبل فتوح ثغورها و يقولون لهم انهم ضالون ، وان عقول أسلافهم قاصرة ، وعلومهم بائرة وانهم هم جاهلون ولدهم جاهلون فحق القول على اكثرهم فهم لا يعيشون الا مقهورين فقلت صدقت

## - ٣١ -

### ( السائس والدجال )

هما شرع متساويان الاول يخدع الامم والثانى يخادع الافراد هذا يعزم ويدمدم ويهمهم ويرقى وذاك يغشى العقول بالوعيد والتهديد تارة والوعد والتبشير بقرب وفاء الوعود وصدق العهود اخرى هذا يقول ستنالون المطالب وتحصلون الغنى وذلك يقول سوف تنالون سعادة بلادكم هـذا يقول لا يفتح الكنز الا اذا أحضرنا البخور من

الهند والصين أو اوروبا ولا وجود لذلك الموصوف ان هى الا أسماء اخترعها دهانا وكذبا وذاك يقول لن نخرج من دياركم حتى تتعلموا وهم على زمام العلم قابضون ولن نبرح الارض حتى تتهذبوا وهم عن التهذيب للامم الضعيفه مبعدون

لقد جاء رجل الى جاهل من جهال بلادنا وهو متزفزين له ان فى منزله مطلبا فصدقه المسكين ، وحفر حفرة فى داره ثم أخرج الحافرين فقال له احضر كل حلى عندك فجاء به ووضعه فى خرقة وشد عليه شدا محكما ، وقرا عليه ودمدم ، وترك صاحب المنزل فى غفلة واستبدل الذهب والفضة بالفلوس ثم وضع آخر الليل ورقا أصفر على جوانب الحفرة وثبتها عليها، ثم احضره وقال له انظر اليس ماترى ذهبا فقال نعم فقال لتكن هنا ثلاثة ايام حتى ارجع ولتحفظ هذه الصرة فان الخادمين هائجون وولى هاربا ولم يعقب ، فلما مضت الايام الثلاثة رأى ذهبه فلوسا ، وحفرته ترابا وورقا براقا فاسقط فى يده وقضى نحبه ، وحل رمسه ، وودع العالم ، ذلك جزاء الجاهلين ، الا فليعقل الافراد وليعم التعليم سائر الطبقات فلا يغش الدجالون الافراد ولا السوّاس الامم



## - ٣٢ -

## ( نبات على حائط القلعة )

رأيت نباتا ممتـدا على حائط القلعة متسلقا من اسفل الى اعلى متسع اسافله مستدق اعلاه انه نبت فى مجرى الماء المنصب من عمل العساكر وغسل ثيابهم

نعم نبت على ما تجمع من عكر الماء وتجمد على الحائط انه كان خضرا نضرا بهى المنظر فى مكان خلا من علامات الجمال والنضرة انى نظرته أول أمس اذا هو قد ذوت اعضـائه وأحمرت أعـواده الاسافل وعريت أعواده عن الورق فترى عيدانا محمرة ذاويه تتخلل اوراقا خضرا رأيت ذلك فذكرت نضرة النبات وجماله قديما واعريراءه وذبوله حديثا

النبات يذوى ولكن مبدأ النبـات وانماته دائم ثابت ، ان نواميس حياة النبات والحيوان باقيـة لن يضرها ان يذبل نبات أو يموت حيوان ان الحياة العامة لا تزول انها كدار صناعة تعطى الناس كل يوم ما به ينتفعون وكمثل آلة النور يدور دولابها ليلا ولـكل بيت حظ من اشعتها فاذا سلبت بيتا نوره فكم لها من بيوت حديثة ان ناموس الحياة العام يعوض مافقده الاحياء تذهب الافراد والانواع باقية الى حين لا بقاء للاحياء بلا ناموس لا حكم للاشخاص وافراد

النبات والحيوان الا انما الامر كل الامر فى تلك القوانين البديعة الضامنة لتجدد الحياة ان تلك النواميس بحر امواجه الاحياء اوشجر هى ثمرته أو سفينة هم ركابها أو قطر عليه يسافرون أو كواكب هم اضواؤها هكذا الامة لا حياة لها الا بنواميس الاخلاق الكامنة الدائمة فيها جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن ، الا انما حياة الامم تتبع الاخلاق الدائمة التى يرثها جيل عن جيل وابن عن أب وام وولد عن والد نواميس الاخلاق فى الامم عنوانها رفعة وضعة انها لتبقى ويفنى الاشخاص الاخلاق فى الامة سمط تنظم فيه خرزات الافراد انها لبحرهم امواجه سافية دائرة هم ماؤها المتدفق وطحون هم دقيقها واشجارهم اثمارها وبذورهم نباتها وسحاب هم قطراتها واضواءهم الوانها ان ناموس الاخلاق فى الامم قانون والآداب فى الدول اشبه شىء بنواميس الحياة فى الطبيعه هذا يحدث عنه ان تحمل الامهات وتلد الوالدات وترضع المراضع وذاك يزجى الناس لاقتحام الخطرات واكرام الضيفان والاعمال العامة وحفظ الامة هذا يجدد ما اندرس ويحيي ما فنى وانطمس ويكسو الارض حلة خضراء من سندس النبات وذاك يوحى الى ذوى الشرف والعقل ان يعيدوا للامة مجدها وللعشيرة سيادتها فيقهرون اعداءهم ويحيون مجدهم ويسعون للرقى والفلاح ، هذا ما قرأته يوم عيد الفطر على حائط القلعة ، قرأته فى ذلك النبات واثبته هنا ليعلم ابناؤنا ان بيتا من الشعر أو حكمة عامة او مثلا سائرا يدور على الالسنة وتعيه

علما وعنحهم حكمة يعطيهم الابناء وتحفظه القلوب وتكنه الافئدة افضل من الف خزانة من الذهب وانكى للاعداء من الف جيش واسرع للرقى من المناطيد فى الهواء والقطار فى الارض والسفن فى البحر ، اعط الامة اخلاقا تعطك حياة وسعادة كن مثال الكمال فى حركاتك وسكناتك لا تقل الا حكمة ، مر الشبان بالفضيلة ، بيت شعر ملىء حكمة اصون للامة من حصن احيط بالمدافع، لتعد نفسك حافظ الامة وحدك لا تتكل على أحد غيرك ، لا تقل ان غيرى اقدر منى فتقف عملك ان ذلك رجس من وسوسة الشيطان انه نكوص على على الاعقاب لتقل اعمل لها وحدى ، قال عليه الصلاة والسلام والله لاقاتلنهم ولو وحدى كن العامل المجد لا تحتقر صغير عملك فلسوف ينمو ، أحبب امتك ، احببها حبا جما ، اجعلها نصب عينيك ، غر عليها كما تغار على حرمك ، ان اعتقاد المرء فى نفسه الصغر والضعة يضعفه عن العمل ويقعده فى الكسل ويدعوه للفتور ، انه لظن قاتل قل لنفسك دائما انى اعمل لامتى ، انى ارقيها، اننى قادر على احيائها قو قلبك ساعد أبناء وطنك ، لتكن لهم فخرا وكنزا ثمينا ، كن لامتك نورا مبينا كن عونا لضعفائهم ، نصيرا لمظلوميهم ، محبا لاسعادهم ، احب صغيرهم وكبيرهم وقويهم وضعيفهم ، انهم جميعا عونك طرا أخوتك واحباؤك ، قاتل الله ضعة النفس ، وضيع النفس خوار العزيمة لا يحس باخوة ابناء امته ، يظن اغنياءهم اعداءه ، وحكامهم سادته فيخفى فى نفسه كرههم ويدفن فى قبر فؤاده عداوتهم وهم لا

يعلمون غذ نفسك بغذاء الشهامة ، اضئها بشمس الشجاعه ، أعطها نور الحرية انها لسوف تسمو بك الى العلا ، ان اكثر صفات الصغار ، من ذلة النفس وصغرها وضعفها فلتقو نفسك يتم عملك وتنل املك .

## – ٣٣ –

### ليلة ٢٠ اكتوبر سنه ١٩٠٩

### ( سفاسف الاخلاق فى العامة والمتعلمين )

مر شاب وهو يفرقع بارودا يسمونه الصاروخ لا يعبا به الا الأطفال لو كان متعلماً لحول وجهه وصوب العمل صوب جلائل الاعمال ، ذكرت اذ ذاك متعلماً وما كان من تصنعه فى المناقشة وخضوعه لقول ذوى الرآسة قال قائل منهم يوما ان حجر رشيد الذى عثر عليه الفرنسيون المكتوب ( بالهروغليفية ) ( واليونانية ) فى زمن البطالسه كاف فى معرفة ( الهيروغليفى ) أى أن اللوح الذى لا يبلغ مترين مربعين تعلم منه اللغة كلها لا الحروف الهجائيه وحدها ولا ريب أن البداهه تحكم بنقيضه انه لن يسع الا كلمات استخرج منها حروف الهجاء بمقارنة اللغات بيعضها فى الاعلام المكتوبه التى لا تتغير بتغيير اللغات سمع القولين فاتبع الاول وهو عالم بركوب الخطا عالم أن ذلك زلل ولكنه جارى ذلك الرئيس ، باع عقله وذهنه واشترى

بهما تملقا وجهلا مبينا، فالى متى لا ترجع هذه الامه عن سفاسف الامور ان هذا الشاب اللاعب بالبارود لم يضر احدا ولكن اضاع وقته بما يسلبه وهذا ممن ضلوا على غير هدى ، والى ، متى يستفيق أهل العلم من جهالتهم ومتى بالله يسود النصح والصدق فى البلاد ؟

## - ٣٤ -

### ليلة ٢٢ اكتوبر سنه ١٩٠٩

### ( القضاء والقدر )

قال قائل انى بحثت مدة طويلة لاسالك فى اعمارنا أهى محدودة ولقد سالت كثيرا فما انبلج صدرى الا قليلا فقلت ايها الفتى انها لمسالة على ابواب القضاء والقدر ان بنى آدم جميعا قسمان فريق يؤمن بالله نظم العالم وهم أهل الديانات وفريق عظيم من الفلاسفه وآخرون لا يؤمنون ولكنهم يرون أسبابا ومسببات فالامر راجع الى القضاء والقدر على سائر المذاهب غاية الامر ان احدهما يرجع الى نظام بالمصادفة والاخر الى نظام صدر عن علم وهنا اسألك من أى الفريقين انت فقال من المؤمنين بالله فقلت لو ان الله اعطانى فراسة عاليه ونظرا ثاقبا افلا اقدر ان اعلم مستقبل امرك من ماضى حوادثك افلست ترى كثيرا من الناس يفهمون باطن المرء من ظاهره اليست الكلمه قد تعبر عن حال الرجل واخلاقه أو لست تعلم ان علماء الحيوان يعرفون

سائر اعضائه اذا عثروا فى الاحافير على معدة او رجل قال نعم قلت او لست تعلم ان طائفة من الناس يستدلون باخاديد الكف وشكل الاعضاء على اخلاق الرجل او ليس البذر معلوما للباذر يعلم انه سيكون على وفاق الشجر الذى استخرج منه نعم ولكننا نجهل مستقبل أمره بما يصادفه من العقبات لقصر نظرنا ولكن الله عز وجل علم المادة حين خلقها أفلا يعلم مستقبل أمرها ونظام حياتها فقال نعم لقد انشرح صدرى لهذا التقرير .

---

## - ٣٥ -

### - عجيبة -

### ( النعلان والسعادة )

بحثت عن النعلين فى حجرة المقابلة فلم أجدهما ، انهما كانا حاضرين وما نظرتهما فدعوت الخادم ليفتش عنهما ، وبينما أنا أدعوه اذا النعل عثرت رجلى بها لانها كانت متوارية عنى فى ظل المائدة هكذا السعادة كامنة فى عقل الانسان ، متوارية فى ظلمات نفسه وخفاياها وهو لايشعر ، بل ان السعادة التى تنشدها الامة كامنة فيها انها مخلوقة فيها ، ولكنها تصل لها اما بالمصادفة وهو النادر كما اذا اصطلحت الدول على أمر فازعجوا الامة القاهرة ، فولت مسرعة وهذا اندر من الكبريت الاحمر ، وأين الكبريت الاحمر ، وتارة

بالعلم والعمل ، وهو الطريق المعهود ، ان فى الامة استقلالها ، لا يمنعها مانع الا سوء أخلاقها وغفلتها ، كما صدنى عن عثورى على النعل ظلام الظلال ، فى ضوء المصباح ، ان فيما بين ظهرانينا أمة القبط انهم جزء من عشرين منا هم نصف العشر انهم متقدمون ، ان عليهم لسلطتين المسلمين والانجليز ، ان منهم فى الشهادة الثانوية هذا العام ثلث من نالوها ، انهم أرقى منا ست مرات ، لانهم نصف عشرنا وغلبونا ، أفلا نفعل مثلهم ، هذا نموذج وضعه الله لمصر لتستيقظ من غفلتها وتقوم من نومها ، هذا الرجل المسمى فرر ، قتله ملك الاسبان لاتهامه بالتحريض، انه بنى مائة وعشرين مدرسة وأقفلوها فى الارض أمم تمنع العلم عيانا ، ولكننا لم تقفل مدارسنا اذ فتحناها فالعار على السكان فى مصر لا الحكام ، أفليس منا رجل رشيد ؟ ومن ذا الذى يقوم فيدعو لعمل عام ، وتعليم وطنى ويجعل على كل مائة فدان فدانا واحدا ، ويبين للناس فوائد هذا العمل النافع من مدارس ابتدائيه وثانويه وعاليه ، ان هذا لفى الامكان .



# - ٣٦ -

## ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٠٩

## ( نظرة فى السحاب )

جلست ذات يوم فى مكان فسيح فلاح لى سحاب فى جو السماء ، وكانما هو هضبة من قطن مندوف ، او آلة من لؤلؤ منضود ورأيت من تحته شجر النخيل باسقات، لها طلع نضيد ، يمتد اطراف جريدها الى سائر النواحى ، وكأنها تشير الى السحاب بالحمد وتثنى عليه شاكرة لمنحه وعطاياه ، والنسيم عليل يتلاعب باوراقها ، وكأنما ربطها ثم ساقها الى جهة السحاب ، ثم أدار وجهها صوب الشمال ، وأنا ناظر متعجب مبتهج بما أرى من زرقة اللازورد فى السماء ، وبهجة الماس فى السحاب ، ونضرة الاغصان والجريد والورق فى النخيل ، وكأنما السحابة جبل ماء دافق ، والماء يتلألأ بارزا لا حامل له وهو مكفوف بناموس عجيب ،

راقنى هذا المنظر فقلت هكذا يكون الكرم والاحسان ، ان الله جم عطائه وقد أرانا إحسانه عياناً ، أفلا نكون محسنين لخلقه مجدين فيما نتوخاه من الاعمال ! ألا فلنتخلق باخلاق الله ، انه يحسن للبارين والجاحدين والطائعين والعاصين، والاقوياء والعاجزين ، ولا إحسان أعم من احسان الحكمة والعلم وانارة العقول وهداية الناس ، بل

ورد مامعناه حديقام فى الارض خير من امطارها أربعين يوما ، ولعمرى ان الحكمة فى عقول الامة أسعد لها من الخصب ، فرب قوم أخصبت أرضهم وأجدبت عقولهم فلم ينفعهم ما أخصبوا وأضر بهم واجتاحهم من الوجود ما أجدبوا ، اذ ربما تنازعوا ففشلوا ، او تتسلط عليهم الامم فتبيدهم لجهلهم ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ، كنت أنظر وانا شاب للسحاب وانا أتوضأ فقلت (يامجرى هذا السحاب علمنى ) فانظر الفرق بين النظرين وتامل كيف كان النظر الاول مذكرا بالتعلم والثانى حاثا على التعليم ان بينهما لنحو ثمان وعشرين سنه ، اللهم انك أعطيت أولى الحسنيين فاتم أخراهما انك حكيم عليم سميع الدعاء .

---

## - ٣٧ -

ليلة ٢٥ اكتوبر ١٩٠٩

( تولى الله سكان البوادى وشقى سكان المدن )

ابناء سكان البوادى اقرب للصحة من ابناء الفلاحين ، وهم أقرب اليها من أبناء المدن ، الظباء والفرائر (ولد بقر الوحش وغيرها) اصح أبدانا وأقوى جسوما من ولد العنز والشاه لسعادة الاوائل

بالحريه ، واؤلئك فى اصفاد المدن مقيدون .

تولى الله من عاش بالفطرة ووكل أمر غيرهم لمتولى شؤونهم فصحت أبدان الاولين ونظمت مدينايتهم فى الفلوات وقصت سعادات الآخرين ، ولم يحيوا الا بالنصب والالم والطب والجراح

---

## - ٣٨ -

### ﴿ قد تكون الامور بآثارها لا باصولها ﴾

الانوار تحدث الالوان ، وبها الهداية فى اعمال الحياة والجمال ، والبهجة والحسن ، وما هى الالوان ، ان هى الا آثار النور الفائض من الكواكب ولا لون للمرئيات ، ان لونها الا السواد ، بل النور نفسه ليس الا تموجات فى الاثير المحيط بنا بل هو تأثير فى الاعصاب كم له من منافع وثمرات ، والروايات والقصص والحكايات وضعها الحكماء لسوق الناس للعمل وشوقهم للفضيلة ، انها لارفع قدراً وأغزر نفعاً وأحسن وقعاً من التواريخ المروية والوقائع الحربية قد يكون فى حقائقها ما يكون قدوة سيئة للعاملين ونقصاً مشيناً للناشئين ، وكم فى الطبيعة من آثار عجيبة أسها الحيل ونتائجها المنافع وثمرتها السعادة ، ألم تر الى النبات الذى ذكرناه فى كتاب الزهرة اذ منحت أغصانه فى أطرافها مايشبه قطرة العسل ، وما هو بالعسل انما هو كشبكة صائد تأوى اليها الحشرات الجاهلة طمعا فى حلاوتها

فاذا وقعت عليها اهتزت فحركت أعضاء الذكور والاناث فكان الانتاج والاثمار ، ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار ، وعلى ذلك كانت اكثر مؤلفات الروائيين من الحكماء والعلماء مخترعة تشويقا وترغيبا ، وهنا مجال واسع للخوض فى القصص الخيالية ولن يباح لى أن أفشى سرا كتمه الحكماء والاولياء فى القصص فذلك ندعه لمن بعدنا يفكرون فيه اذا جاء أجل رقى الامة وتنور العقول

---

## - ٣٩ -

يوم ٢٦ اكتوبر ١٩٠٩

( الصم البكم العمى )

جلست فى مكان تشرب فيه قهوة البن ، اذا ثلاث يتكلمون بالاشارات ، اشارات الايدى والاعين والرؤوس والحواجب والفم ، ثلاثة - صم - بكم - كل أصم فهو أبكم ، وهؤلاء صم انتحلوا لهم اشارات وكونوا لهم لغة ، تلك لغة الاشارات اللغة الطبيعية ، هؤلاء أصحاب يتحدثون واخوان يتحاورون ، ألا انهم مشتركون فى النقص والكمال ، مشتركون فى نقص السمع - وقوة النطق متحدون فى البصر وقوة العقل وسائر الحواس ، بذلك اتحدوا لم يصحبوا أحدا من المبصرين السامعين المتكلمين ، انهم لن يشركوهم فى النقص كما أشركوهم فى الكمال ، لذلك نفروا منهم الا أن الائتلاف مبناه الاتحاد فى الصفات ، وعلى ذلك يحب العالم العالم لاشتراكهما فى

الكمال ولا يتحد مع الجهال لانه لايشركهم فى النقص كما شاركهم فى الكمال ، والمظلوم يتحد مع مثله ، هكذا ذوو الاخلاق الجميلة يتعاشقون ويتحابون ويتوادون، انهم جميعا متآزرون لذلك وجب بث العفة ـ والشجاعة ـ والمروءة ـ والحكمة ـ ليتحد فيها أبناء البلاد فيتعاشقون ويتوادون ، وليس فيما عدا ذلك اتحاد ، وهذا هو التعليم الوطنى ان يتحد الوطنيون فى تعليم عام يجمع وحدتهم كالاتحاد فى الملابس ـ والزى ـ والاخلاق الفاضلة ـ وبالجملة لابد من عقيدة واحدة تشمل الامة ، إما فضيلة وطنية او دينية ، وبغير ذلك لاسبيل للاتحاد .



## الدودة والناقة

تعليم الدين فى الامم الشرقية محرف على نمط اهواء الظالمين ، ان المعلمين فى بلاد الشرق يدسون المتعلمين فى حمأة من الجهل ويغمسونهم فى طين الخيال والوبال ، ويقولون كونوا دودا منزوين فى ثنايا الطين وظلمات الوحل ، وغيابات السجن والاوهام ، ألا ان للدود حاسة اللمس وقد فقد بقية الحواس ، وللناقة السمع والبصر والشم والذوق ، ان الدودة تسير ذراعا فى دقائق كثيرة والناقة تسيرها فى ثانية ، الدودة تأكل من الطين ، والناقة من الحشائش ، ان الدودة

لا تحمل ولا تنفع ، والناقة تحمل أثقالنا ، الدودة لا يؤكل لحمها والناقة مأكولة اللحم ، الدودة لا عظم لها ، والناقة ذات عظام ، الدودة لا لبن لها ، وفى النوق الالبان ، الدود لا صوت له ، وللناقة أصوات ، الناقة تخزن فى بطنها ماء كلها ولا مخزن للدود ، الدودة تختفى فى باطن الارض والناقة ظاهرة ، الدودة لا تأخذ بثأرها ولا تقضب والناقة تاخذ بثارها وفيها قوة القضب .

ان رجال الدين فى الامم المنحطة يؤولون الديانات على حسب اهوائهم ، ويقولون للتلاميذ كونوا خاضعين سامعين ، يامرونهم ألا يتكلموا ولا يسمعوا ولا يبصروا والا يدافعوا لئلا تراهم العيون ، والله يقول فى القرآن ( أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء ، أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور )

## — ٤١ —

### ﴿ تفسير آيتين فى تاريخه ﴾

( فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين )

يقول الله تعالى ( يامعشر العرب ومن معهم من الامم ، لقد علمتم اخبار من قضى من الامم وكيف ضاقت حيلهم وظلموا فى أحكامهم ففسقوا فى ديارهم فاخذناهم بذنوبهم وقطعنا دابرهم فلم يكن فيهم نبلاء يدعونهم الى الرشاد وينشلونهم من الغى ، هلا قامت منهم طائفة مستنيرة ، دعت للفضيلة ونفرت من الرذيلة ، وأمرت بالعدل ونهت عن الظلم ، هلا قام فى كل جيل فئة من ذوى النفوس الطيبة يدعونهم الى خلع ربقة الكسل ، وحل عقدة عقدها الشيطان على قلوبهم حتى انغمسوا فى حمأة الرذائل ونسوا حظا مما ذكروا به ، أفلم يكن منهم اخصائيون للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يجهرون بتقبيح ما استحسنه الجاهلون ، وتحسين ما غفل عنه الناس أجمعون ، على اننا لم ندع الفطرة وشأنها ، بل خلقنا فى كل جيل اناسا ساعدتهم فطرهم وغرائزهم على القيام بشأن العامة ورفعة الامة وارشادها ولقد كتبنا فى الفطر الانسانية كتابا لن تمحوه سطوة الظالمين ، ولا يحرفه تاويل المضلين ، يقول للامم الحاضرة على سبيل تقريع الامم الغابرة ( فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض ) هلا كان من تلك الامم فريق وقفوا أنفسهم وخصصوا حياتهم لانقاذ أممهم من التهلكة ، ولكن لم يفعل ذلك الا قليل وهم الذين انجيناهم من وقوع العذاب بهم بل وعدناهم بنصرنا ، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، ولئن مات كثير منهم بالسيف والنار ذاقوا الحتف وعذبوا ، فلقد حفظنا آراءهم ونشرنا مذاهبهم وجعلنا

لهم ذكرا حسنا فى الغابرين ، أما اولئك المنغمسون فى الشهوات المترفون الذين لا يعملون ولا يعلمون فقد اتبعوا ما أوحى اليهم الترف والتنعم وكانوا مجرمين فهلكت أممهم بفسقهم ( واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ) ( وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا كقوم عاد اذ طغوا وثمود اذ كفروا وقوم لوط أتوا الرجال وقوم فرعون لطغيانهم والرومان لترفهم والفرس لضلالهم واليونان اذ تفرقوا شيعا فى الاراء والمذاهب ، والعرب اذ تحاسدوا وتباغضوا فحق القول على المسرفين والمجرمين .

## – ٤٢ –

### ﴿ الآية الثانية ﴾

كنت فى ما تم فسمعت قارئا يقرأ

( وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ) فقلت يقول الله نحن جعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على حكمتنا وقدرتنا وشمول علمنا ووحدانيتنا وجعلناهما مختلفتين ،

فاما آية الليل فانها خافية ممحوة تسكن فيها الاجسام ، ويلم فيها الظلام، وأما آية النهار ففيها يبصر العاملون أعمالهم كى يسعوا لمكاسبهم ويبتغوا فضلا من ربهم واذا رأوا كرور الليالى ومرور الايام عرفوا عدد الشهور والسنين بعلم الهيئة ، ولن يتسنى لهم ذلك الا بالجبر والهندسة وعلم الحساب ، هذه العلوم مقدمات علم الفلك وحساب السنين ولها منافع أخرى فى أحوال الناس ومعايشهم وحساب المتبايعين والمتقاضين ودواوين الحكومات ، فكان للحساب مزية أعم من مزية علم السنين ، ولذلك قال تعالى ( ولتعلموا عدد السنين والحساب ) ثم أبان أن تلك الامور تفضيل لمجمل الزمان فعدها باوضح عادٍّ وهو الضياء والنور المشاهدان ، للبهائم فضلا عن العامة والخاصه لشدة الحاجة لمعرفة السنين ولفهم الحساب ، فلذلك قال تعالى ( وكل شىء فصلناه تفصيلا ) كما فصلنا عدد السنين والحساب ولما كان الانسان يعمل فى الليل والنهار أعمالا تحسب فى صحائفه وتكتب فى دفاتره ، ولها حفاظ كاتبون كما يحسب للفلك دوراته وتعلم السنون وحسابها وأوقات الكسوف والخسوف ، أردفه بقوله تعالى ( وكل إنسان ألزمناه طائره ) كتاب عمله فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا كما نشرنا نتائج حساب الافلاك فى الدنيا من حساب المقومين الذين هم كالكرام الكاتبين فى الانسان ، فكما سخرنا فى كل أمة أناسا يرصدون الكواكب ، ويحسبون

حركات الافلاك ، وينشرونها للناس ، فهكذا لكل انسان حفاظ
كتاب يصورون أعماله وحسناته وسيئاته ويخزنونها فى حافظته
ويركمونها جميعا فى عقله ويرتبونها فى أماكن النفس من الذاكرة
والحافظة والمخيلة وعند الله فى كتابه المكنون ولوحه المحفوظ ،
حتى اذا جاء أجلهم ونفخ فى الصور وجمع الناس وبعثر ما فى القبور
حصل كل امرىء ما فى صدره وعاين عمله وشاهد قبائح أفعاله ومحاسن
أخلاقه ، ويقال له إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ، وأكد
ذلك بقوله ( من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .

---

## — ٤٣ —

### ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٠٩

### ﴿ تلألؤ النفس الانسانية ﴾

إن للنفس الانسانية وقتاً تتلألأ فيه صفاء ويتجلى فيها جمالها
ويتباهى كمالها ، وتزدهى حسنا وجمالا ، فى هذا اليوم هبت نسمة
على أغصان شجرة تين بمنزل فى الطريق الذى أسلكه الى المدرسة
من المنزل ، أسرت الى نفسى تلك الريح الحكمة الشريفة ، وأفهمتنى
ن الدنيا وحياة أهلها هبة نسيم ، وان المحرك والمنشىء لها هو الاول
والآخر والا فما معنى حياة ضئيلة وأيام قليلة ، عجب عجيب ، انا فى

سرور اليوم ، وكيف يخالج السرور الفناء ، وكيف يتناسب النسيم وهبته مع العالم ونقلته الى الله وحياته وجماله وحكمته ، لعل السر فيه أن حياتنا الحقة فى فناء الاجسام ، وزوال العناصر والتجرد عن المادة ، وانشراح النفوس والعقول .

## — ٤٤ —

### ﴿ هبة العلم أدوم فى القلوب من هبة المال ﴾

### ( حكمة وتجربة )

كم أحسنت الى أناس فقابلوا نعمتى بالكفران ، ومعروفى بالجهل ولقد قابلوا النعمة بمثلها كفراً ، إن قليلا فقيل ، وان كثيراً فكثير هذا أغلب ماعلمته من الذين أنعمت عليهم نعمة مادية ولو من أقاربى أليس هذا من العجيب ، اما افاضة العلم وتعليم الحكمة فقد رأيت من تلقوها أحب إلى من اولئك ، كان الله عز وجل يريد أن يربنا ان أهم الانعام ما كان بتعميم الفضيلة ونشر الحكمة

## — ٤٥ —

### ﴿ صبية تفرح بالمدح ﴾

رأيت صبية تفرح بالمدح على خدمتها وتسارع للعمل حبا فى حسن السمعة والصيت ، الصبية من نوع الانسان ، والانسان مخلوق من

فيض نور الله ، والله لا يحب الا الاحسان ، الله خلق السموات والارض وزنهما ، الله خير محصن وجمال ـ الله سعادة وبهاء ـ الله غرس فى الانسان حب الاحسان ، كلمة طيبة أصلها ثابت فى النفس وفرعها فى الاعمال ، فرح الفتاة بالمدح صفة شريفة لم يعلمها إياها الا الفطرة علام يمدح الناس ؟ يمدحون على ما أعجبهم من المرء وهو فى الاكثر راجع اليهم ، ففرح الفتاة بالمدح فطرى ، والمدح انما يكون على ماوصل الناس من الاعمال ، فالناس خلقوا لاسعاد بعضهم ونظام الهيئة الانسانية .

## — ٦ —

## ﴿ الام والحكيم ﴾

الام ترضع ولدها وتغذيه بالطعام ، وتحوطه بضروب من الاكرام ، وتدفع عنه أذاه ، وتواليه بالنصائح ، ولطالما تحملت الالم والنصب فى اسعاده وطالما حلمت على أذاه وربما سرها المكروه الواصل منه اليها ، أليس من العجيب أن تضع نفسها تحت قدميه رهينة أمره حبيسة خدمته ، وأن تجعل حياتها فداء لحياته ، وراحتها فداء لراحته ، وسعادته فوق سعادتها ، أليس فى ذلك عبرة لذى عقل ، لم لا يكون حكماء الامة وعلماؤها ناهجين مناهج الامهات ، أليس حظهم من الامم أوفر من حظ الامهات ببنيها ،

حظ الامهات أمل إطعام الابناء لهن وقيامهم بهن فى بقية الحياة اذا مسهن الضر و بلغن من الكبر عتيا ، وحظ الحكماء أن تقرأ حكمتهم وتذاع آراؤهم بين طوائف الاجيال المقبلة يتوارثونها جيلا عن جيل، ان نسبة مابين امال الام من ولدها والحكيم من ابناء أمته ، كما بين نهر صغير فى مزرعة يرويها والبحر الملح فيه السمك والمرجان والدر ، ومنه تتوالى السحب فى الجو فتمطر الارض لاتنفد أمطارها فتزجى على الارض كل وابل وطل ، ولا تزال تحييها اذا ماتت وتخصبها اذا أجدبت وتسقى الحرث وتنمى النسل وتعم العالم بالبركة ، ذلك مثل آمال الحكيم وأمل الام .

فحق على العلماء أن يعذبوا ارواحهم ويتلفوا مهجهم فى ترقية شؤون أبنائهم فى الحاضر والمستقبل ، ان الله عز وجل وضع هذه الآمال فى الامهات وفى الحكماء تشويقا لما أحبه وحبا فيما اصطفاه ان الناس مسخرون الى المنفعة العامة ، انهم يخدمون بعضهم ولا يشعرون ، ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ، ان الام تهلع لمرض ولدها وتجزع لفقده وتنصب لراحته وتحزن ليفرح ، وهى لاتلاحظ تلك المعانى المذكورة بل جل أمانيها ان تراه حيا ، ألا فليعمل الحكماء لمصالح الامة ، لا لمدح سيطربهم ، ولا لصيت يرضيهم ، بل ليكن ذلك عن رغبة وشوق كما تحب الام ولدها وترغب فى حياته وتسعى فى سعادته .

## — ٤٧ —

ليلة ٢٩ اكتوبر ١٩٠٩

﴿ البلاغة وقواعدها ﴾

انا مدرس بالمدرسة الخديوية أدرس البلاغة ، وقد تعلمتها بالازهر وهكذا فى دار العلوم ، قد سألت أستاذى بالجامع الازهر وأنا مجاور هل عرفت ياسيدى حقيقة ان القرآن بليغ بفطنتك ومقارنته بكلام العرب (وكان الشيخ يعرف صدق) فاجابنى ياشيخ طنطاوى أنت تعلم اننا لانتم البيت اعرابا حتى تمضى ساعة لانظن ذلك ، اذا لم نعرف كلام العرب فكيف نحكم بافضلية القرآن عليه بانفسنا ، نحن اكتفينا بالايمان .

اللهم ان القواعد الموروثة ، والابواب المحدودة ، المسماة معانى وبيانا وبديعا حجاب القى بين الناس وبين البلاغة ، فضرب بين الناشئين وبين العلم والفصاحة بسور له باب باطنه فيه الجهل وظاهره فيه العلم ، من أين لقارىء هذه العلوم ان يكون فصيحا او بليغا ، قد علمنا بالاختبار ان اكثر الناس علما بها أقلهم حظا من البلاغة والفصاحة ، وكل ماسطره اولئك الاقدمون انما هو ستر على الجهالة وضعوه ليتلهى بزخارفه القاصرون ، واكثر من ألفوا فيه العجم ولذلك نراهم شحنوه بالفلسفة وخلطوه بالسفسطة كما نراه فى باب الفصل

والوصل والجامع العقلى ، والوهمى والخيالى ، ولعمرى ان الطريقة المثلى والسمحة البيضاء ان يوضع كتاب فيه اشعار ومنثورات عربية من العصور المختلفة وهو المسمى آداب اللغة ، ويمرن التلميذ على تحكيم ذوقه وعقله ويعلم كيفية الحكم على الفرق بين كلام وكلام كما كتبنا اليوم فى المذكرات من المقارنات ما بين القسم بقوله (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر) وبين قول الشاعر (لعمرك ما أدرى وانى لا وجل على أينا تعدو المنية أول)

فالفجر نور ممتزج بالظلمة بدىء به النهار يستتبع طلوع الشمس والليالى العشر فى أول الاشهر ذات قمر ينمو نوره ويستكمل اشراقه والشفع والوتر يلخصان علم الحساب وخواصه العجيبة القاضية بفهم الاوقات وعلم الحساب كانه يقول والفجر والليل وسير القمر والكواكب والليل والنهار والنور والظلمة ان الكافرين بنعمة العلم وانذار المنذرين وتبشير المبشرين الذين مثلهم كمثل الهلال فى العشر الاول ، والفجر فى اول اليوم هالكون لا محاله صائرون للعدم مسوقون للهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ، ألم تر كيف فعل ربك بعاد اذ جاءهم رسول فكذبوه ، وقد كان نورا سطع وعمود صباح انفلق ، وهلالا بدا فكفروا به فزال نورهم وأصبحوا فى ظلمات الكفر ، فاذا قارنا هذه الآية ومشتملها العجيب المعشق للحكمة الداعى للنظر فى الليل والنهار ، والفجر والهلال ، وذلك لا جرم نور من العلم سيق على طريق القسم تشويقا للحكمة وتعشيقا

الانوار ، وحساب الافلاك وارتقاء الفكر اذا قارناها بقول أمرىء القيس ، فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك واوصالى

من قارن القسمين عرف بفطنته البلاغة بنفسه ، وهكذا يجب على الامة اذا تنور شبانها ، وعلى من قاموا بالتعليم ان يذروا الطريقة العتيقة بتاتا وليمسوا بالشعر أفئدة الشبان وليلمسوهم البلاغة بقولهم وليضعوا لهم نماذج ومقارنات فيما بين شاعر وشاعر ونثر ونظم واية ونظم وقسم وقسم وتشبيه وتشبيه ، وقد ابتدأنا نضع لهذا نماذج راجين أن ينسج الخلف على سنة السلف.

انى أخاطب احبابى من بعدى ، وابناء الامة القادمين الى هذا العالم ليخطوا لهم هذه الخطة ، فسينبغ فيهم نابغون ويكون فيهم كرام كاتبون وسيسبق الخلف السلف ، اذا قرئت البلاغة على هذا المنوال فسرعان ماينبغ الكاتبون ان فى المصرى استعدادا للبلاغة عجيبا لايوازيه فيه احد من العالمين

## — ٤٨ —

### ﴿ اشراق النفس ﴾

### ( بهجة السماء وجمالها )

اذكر انى ليلة خرجت من القاهرة مساء لزيارة صديق فجلست فى حقله وكان ذلك وقت الترويض ، والظلام حالك ، والليل قد

أرخى سدوله وأحاط ظلامـه بكل حى فنظرت السماء اذا هى جنة ذات بهجة للناظرين هى بحر من نور تتلألأ ثواقب الزهر فى مائه وتسطع شوارق الانوار فى ارجائه خيل لى أن نور جمال الكواكب قد ملأ الجو وأحاط بما حولى من العوالم ، وتأملت نفسى والعوالم حولى ، اذا أنا فى عالم عظيم كبير اصغر كوكب فى نظرى يفوق الشمس ملايين مرة ، والشمس تفوق الارض ألافا مؤلفة وهـذه النجمة القطبية تبعد عنا خمسين سنة ، مقدرة بسير ضوئها مع أن الشمس يخترق نورها الافاق فى ٨ دقائق و١٨ ثانية ، فكيف يكون مقدار ذلك الكوكب، وكيف حال المجره وهى جميعها كواكب تضامت فى نظر الانسان واصبحت بالنسبة لنا ذرات تكاد تشبه اللبن وكل واحدة من تلك الذرات شمس كشمسنا ، عالم واسع وملك كبير ، واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ، فما الارض ومن عليها ، وما الدول والملوك والحروب والسياسات ، وما الارض الا ذرة لا قيمة لها ولا وزن ، فمن الناس ومن أمراؤهم وخزائنهم ما أصغر الارض وما اضعف الناس وما اوسع العالم وما أكبره ، الله اكبر كبيرا ، لقد صغرت فى عينى هذه الدول والملوك وسياساتهم وممالكهم وأيقنت ان هناك حالة لنفس الانسان سينسى فيها الارض وما عليها والاحقاد لما يغشيه من العلم ، وما يوحى اليه من الحكمة

الناس يخضعون للجمال والقدرة والعلم فارباب الاموال وذوو النفوذ والجاه ذوو قدرة، الاولى مالية والثانية جاهية ، وذوو الجمال

يجذبون النفوس اليهم ، وذوو العلم يتبعهم السامعون والفاهمون ، فاذا زج بهم فى بحر من نور العلم واشرقت على قلوبهم شموس الحكمة واطلعوا على سعة العوالم ونظامها وجمالها ، فبهرهم الجمال وأدهشهم العلم وغشى على افئدتهم سعة تلك المخلوقات الهائلة أنساهم ذلك ما كانوا فيه من العيش واللذة والالم ، ولكن متى يخلص الانسان من ذنوبه القواطع فيحاط بتلك الانوار قال ارسطاطاليس ان هذه البهجة لاتدوم اكثر من لحظة ، وتبعه الغزالى فى ذلك واكبرها ابن سينا فى آخر الاشارات وأتى فيها بمقامات تبلغ العشرين ، أما أنا فاتخذ ما أجده منها دليلا على جمال وبهاء سيصل اليه المرء بعد التجرد من عالم الطبيعة كما استنتجه الاقدمون من احوال نفوسهم

---

## — ٤٩ —

### ( شابان يتضاحكان فى شارع عبد العزيز )

تاثير الروح على الجسم صحة ومرضا وموتا وحياة

رأيت شابين يتضاحكان فى شارع عبد العزيز وهما واقفان على أديم الأرض إنهما منها أخرجت نباتا فتناوله حيوان فاكلهما انسان فتكون نطفة فصارت النطفة لحماً وعظماً بامداد دم الطمث من المرأة فنشأ خلق صار صبيا فيضحك الارض لا تضحك ولا تهم بحسب علمنا ـ وكذا النبات وأكثر الحيوان من أين جاء الضحك ؟

هيئة عجيبة جميلة بل غريبة ومعجزة . كيف يتضاحك الشابان ، أنا أرى الضحك كل يوم وأنا أضحك . ولكن لا أدرى كيف جاء الضحك بل كيف يتحركان إختياراً ، أم كيف يموت زيد لسماع خبر ويحيي عمرو بخبر سار ان فى ذلك لذكرى للذاكرين ، الا انما الموت الطبيعى المعروف فى النبات والحيوان بامور مادية كقطع الغذاء أو قطع أهم الأعضاء أو ادخال سم أو ما شا كل ذلك وكيف كان الموت والحياة والسعادة والشقاء تتبع كلمات تسيطر على العقل فتهلك الجسم ان هذا فوق المادة أفليس من العجب أن ينكر قوم الروح جهلا وهم غافلون ، المادة لا يزعجها الكلام ولا الأوهام ، فكيف اضر الوهم بها فاماتها وسلطت تلك الاعراض السيالة عليها فهدمت هيكلها ان فى ذلك لتذكرة لمن يضحكون و يفرحون و يسمعون و يعقلون



— ٥٠ —

ليلة ٣٠ اكتوبر سنه ١٩٠٩

## ﴿ العدل فى الاشجار ﴾

فى هذا اليوم لم أعمل عملا عاما وانما هو خاص اذ شيعت جنازة مع المشيعين وسافرت فى قطار الى البتنون وكنت مع اخوانى ولطالما اختلست نظرات من خلال القطار فسنحت لى سانحات وتادت الى عقلى ملامح قدسية شاهدت العدل جليا فى الاشجار، ألم ترالى شجر اللبخ وقد وزع العصارة المجتذبة من الارض على أوراقه وأثماره وحبوبه ومنح كل ورقة قسطها وكل انبوبة حقها وكل حبة أو ثمرة ما تحتاجه فى الحياة، الا لا يسعد الانسان على سطح الكرة ما لم يصل فى تقسيم أعماله الى العدل على حسب الاستعداد والقوى والملكات الشجرة ساق وفروع صغيرة واخرى كبيرة وأزهار وأثمار وصمغ وشوك وليف وورق له حد محدود من الاغذية والعصارات فتوزع على كل منها ما يحتاجه افليس الانسان شجرة تفرعت واصلا نما ونوعا انفلق الى فصائل، والفصائل افخاذ كثيرة وافراد متباينة وكل له استعداد لعمل وصفة فلم لم يشغل كل فيما خلق له كما خصصت الثمرات بغذائها الصافى والاوراق بعصارتها والالياف بقوامها وقوتها، الا فلتقم كل امة من امم العالم بما حدد لها من القوة والملكات، الا لتوزع الحكومات على الافراد والاعمال الانسانية على سنة طبيعتها

أفلا ينظرون الى الالوان كيف اختلفت والى الاصوات كيف تباينت والى العقول لم تشتبه ، والى الاحوال المتقاربة المتباعدة فليضعوا كل امة فيما خصصت له ، وكل فرد فيما يناسبه وما يلائمه و يوائيه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، لاحظت القطر يجرى والاشجار كانها تمر سراعا بعكس ما نسير ، والشمس والسحاب يجريان بعكس المزارع القريبة منا ، ان سيرنا عكس فضيه المناظر حولنا نرى أرضا مدبجة بالسندس الاخضر والشجر العالى ونبات الذرة وقد صار حطاما ، والقطن قد تحلى بثمره وتدلت منه اشباه النجوم صوب الارض والاشجار باسقات تتخلل تلك المزارع وقد جلل اطراف اعوادها سحاب من دخان مركوم تصاعد من النار التى يوقدها الفلاحون لقلى امطار (١) الذرة وهم فى حقولهم يتنزهون ، والسحاب ما بين كدرى اللون و برتقالية واصفره وأحمره قد تحلى به أديم السماء كأنه بحر موجه السحاب وكان منها ما يشبه السوائم المختلفة الاجسام كانها سود الغنم ترعى فى حقول خضر مراعيها صفر حواشيها تتخللها الاكام السود وسلاسل التلال وأنواع التراب من أحمر وأصفر او كان السماء روض بهيج كله سندس خضر شخصت فيه كثباب العنبر وآكام الزمرد وركام من المرجان يحوم حولها السوائم العنبرية ، ان الشمس لتلمع خلال ذلك السحاب الاكدر ككره

---

(١) جمع مطر وهو المسمى (الكوز) او سنبل الذره فى بلادنا اه

من مرجان أو عقيق فى كثبان من عنبر على بساط اخضر شاهدت ذلك المنظر الجميل البهيج فالفيته فى الحركة مقلوب الوضع كما يقلب المجادلون الحقائق واهل النفاق الاخيار سار ما قرب من مزارع الارض عكس صوب طريقنا وخالف سنتها ما تباعد كالسحاب وما وازاه من مزارع الارض فكنت ترى أحوال المنظور كانه يصنع دائرة امام أعين الناظرين ، أفليس من العجب حسن الطبيعة وجمال مناظرها يقارنه الكذب فى هيئة الحركات ، ان فى ذلك لعبرة للانسان وقد خلق ظلوما جهولا خلق فى أحسن تقويم وجمال ورأى العوالم مزدانة بابهى بهجة وحسن واعتدال فاذا جاء دور العمل على ما رآه فى المخلوقات تولى بركنه وارتد على عقبيه وقال مالى بهذا يد ان ولا طاقة لى به فيعكس القضية ويوقع نفسه فى بلية ويخر مغشيا على عقله بغشاء النفاق ويغطى على نياته بغطاء الرياء. ثوب الرياء يشف عما تحته ، ويكون مثله كمثل الجارية حوالنا وماهى بمتحركات ان هى الا وهم فمسيرنا الى جهة أثرفى المشاهدات تأثيراً جعلها عكس طريقنا وهى اثرت فيما بعد عنا فجاء للوهم سيرها مخالفا فانتظمت اذ ذاك دائرة كونها الخيال ورسمها الوهم فان لم تكن فهمت أمرها فعليك بملاحظتها وقت سير القطار



## -٥١-

﴿ حبك الشيء يعمى ويصم فهكذا الخوف منه ﴾

ان من الناس من خلق ليبالغ فى حب الرئيس والخضوع له والتذلل حتى ينسى اعز عزيز لديه فى حضرته فلا يسلم عليه وكان استغراقه فى تذلله حذف من ذاكرته من عداه ، هكذا فعل بعض من يتملقون كأن ذلك الرئيس شمس تجلت لناظره ومن عداه نجوم فلما أشرقت غشى نورها الابصار ، أو كانه فى واقعة حربية قد حمى وطيسها وهو يجالد رسيسها ( سيدها ) فزاغ بصره و بلغ قلبه الحنجرة وهلع من هول الكرب ، فنسى الصديق والحبيب ان فى ذلك لعبرة لقوم يعقلون .

---

## -٥٢-

ليلة ٣١ اكتوبر سنة ١٩٠٩

﴿ هل بين الشجر قضاة ؟ ﴾

هذ السؤال عجيب والجواب عليه أعجب ، الشجر يتنازع الغذاء من الهواء والارض والماء مع بعضه ومع الحشائش و المزارع ، وليس يفصل فى الاحكام بينهن الا النواميس الطبيعية ، فاذا اشتبكت

العروق فى الارض وتبادلت الغذاء فالاقوى أحق بجذب المنفعة له بحكم الحقيقة ذلك حال الشجر ،

وللحيوان قضاة يحكمون بينها بالحق ، كما فى الغربان وكلاب البحر وأنواع من الحمام ونرى الحاكم بين الحيوانات الكاسرة القوة ، ونرى الانسان لم يشأن يرتقي عن حال الاشجار والحيوان ، فهو يجعل الحق للقوة بين زيد وعمرو ؟ فاذا تضامنت أفراد فصارت قبيلة فأمة ، عدلوا نوعا واخذوا يتحدون على ظلم غيرهم ، ان الانسان لظلوم كفار ! ثاب زيد فلم يقاتل عمرا ، وعلا عن الحيوانية وتعالى عن النباتية وارتقيا معاالى مرتبة الانسانية، ولكن ماذا جرى ؟ كونوا جمعية كبيرة ، وأمة عظيمة ، فافرغوا سمومهم المخزونة واحقادهم المدفونة ، وسوء أخلاقهم المستورة فيما بينهم ، وأوقعوا بامة غيرهم، مامنعهم العدل أن ياتوه مع انفسهم ، فاصبح زيد وعمرو وخالد جميعاً ظالمين ، لكن لغيرهم لا لبعضهم وكانهم رماة استبدلوا طعن غيرهم بطعن انفسهم ، فاصبحوا جميعا بالرماح ضاربين أمماً سواهم فهم طراً مجرمون ـ وجميعا خائنون ـ ألا لايمتاز الانسان عن الحيوان الا بترك العدوان ، ان الانسان اليوم طفل ـ انه جهول ـ انه لا أدب عند جماعاته ! متى يرتقي ؟ يرتقي اذا صارت الامم كافراد الامم المتمدينة تتمتع بالحقوق لايظلمون ولا يظلمون .

## - ٥٣ -

### أول نوفمبر سنه ١٩٠٩

### ( هبوب النسيم )

هبت النسيم وقت الظهيرة فتلاعبت باغصان العنب المفروشات على الحيطان ، وقد برق الجمال ، وسطع بين طبقات الاوراق ، نخلت كانه فى وشوشته للأغصان وحنينه بين الاوراق وهى تتعانق يقول كن أيها الانسان جميل الطلعة باهى الجمال لابساً حلل البهاء ، ونظيف الثياب حسن الشكل عطر الرائحة ، تعلوك المهابة والوقار ، كن قدوة للامة فى قولك وفعلك ، نوراً لهم مبينا ، فالكون جميل والنجوم باهية ، والشمس والقمر بديعان ، والعالم جمال فى جمال والشجر منظم الاغصان بديع الاوراق لا نرى من ورقة تخالف شكل صاحبتها ، ولا زهرة تباين اختها ، كل ذلك موزون مصون لا نرى فى خلقه من تناقض ، فارجع البصر هل ترى من خلاف ، ومن عجب أن يكون العالم جميلا ، والنجوم والشجر والدواب والانسان كلهامنظمة بديعة الاشكال ، ثم قبح شكل المدنية الانسانية فلم يسلك الناس سبيل العدل ، فنهم الظالمون لامهم - ومنهم الظالمون لامم اخرى ، فالاولون هم المتوحشون ، والآخرون هم المتمدينون

يخفى عليهم انهم ظالمون ، ومن العدل مبرءون ألا انما العدل فى الجمعية والنظام الصحيح فى هذه البرية أن يقوم الناس بالقسط ، وتقسم الاعمال على حسب القوى والقدر والمواهب العقلية والجثمانية لا على مجرد القهر والجبروت ، للنفوس البشرية مواهب لاتزال كامنة فاذا استخرجت أصبح الناس عادلين وضاهت المدنية البشرية نظام الحكمة الالهية فى الاشجار واوراقها ، والحيوانات وأعضائها والاناسى وملكاتها وحواسها ، ولعل هذا بعض ما اشار له الكتاب بقوله (والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم)

## - ٥٤ -

ليلة ٢ نوفمبر سنة ١٩٠٩

### ( وقار النخيل )

مررت فى حديقة ذات نخيل وقت العتمة ، فرأيت النخل تلوح عليه سيما الوقار وقد سمقت جذوعه ، وامتدت أغصانه ، وهو رافع خوصه المحددة الاطراف صوب السماء الجذوع مغبرة اللون تحمل فى الجو العالى روضة من ورق خضر سندسية والنسيم تهب عليها مائلة ذات اليمين وذات الشمال ، وغوير الاحراش المتخللة النخلات يذهب فى طبقات الجو ليتلاقى مع حفيف النخلات وقد سمعت دقات ساعة متتابعات يمازجها اصوات سكان القاهرة وقطارهم والسماء

كاسية سحابا عنبرى اللون يتخلله ساطعات الكواكب لامعات
كأنهن ازرة بيض على جوانب ثوب اسود و بعض اماكن فى السماء
كساها الحسن ثوبا أبيض فوق زرقة صافية بينهن مصابيح النجوم
باهرة متلألئة ناظرة الى وأنا اقلب الطرف فى حسنها ، وأمسك القلم
لأسطر وصفها ، واشرح حالها ، إن قلمى ليعجز أن يصف ما
يخامر الفؤاد من المعانى البديعة الواصلة له اذ يرى فى ظلمة الليل
ذلك المنظر ، وما على النخل من الوقار والبهاء والابهة انه لعظة
للعظماء ليتخذوه مثال الوقار والتأنى وحسن الهيئة وجمال البزة والتؤدة
مع لطف الشمائل وقرب المتناول ( وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب )

---

## — ٥٥ —

### ليلة ٣ نوفمبر سنة ١٩٠٩

### ( المصريون والامم )

اعترى الاسلام فى انحاء الارض قديما داء الجمود . فاثر فى اعصابه
وانحنى امام الجهل وسجد للقوة واستكانت دوله وخضعت ولم يقم
من سباته العميق الا هذه السنوات ، فرفعت الترك رأسها واخذت
الفرس دستورها ، ولكن وقعت الواقعة وانشقت سماؤهما فهى واهية
فاما مصرفان لها شأنا غريبا عجيبا لسنا نقارنها بدول أوروبا حتى

يقال غلونا فى المقارنه ، وانما أردنا ان نقارنها بضعيف مثلها ،
هم رجال القرم المسلمون ، ذلك ان بلاد القرم تبلغ خمسة الملايين
ومسلموهم مائة الف نسمة كونوا ست جمعيات اسست ست مدارس
رشدية ( ابتدائية ) ولكل منها ارساليات الى انحاء العالم كالاستانة
و بطرسبرج والجامع الازهر ولهم ، عدا ذلك عشر مدارس أهلية
ليس للحكومة فيها يد عاملة ولا درهم لها انفقته أو ساعدت
أى مساعدة ولكل جمعية رأس مال يستثمر وينفق من ريعه
على المدارس والاعمال الخيرية العامة ، كمداواة المرضى واطعام
الفقراء ، ومواساة ذوى الحاجات ، واسعاف المقعدين ، وعلى كل
عضو فى السنة ستون قرشاً ، وللجمعيات ليال تمثيلية تخصص ريعها
لنفسها فاذا قارنا الآن اولئك الاقوام ونسبنا عدد المصريين الى عددهم
فنحن ١١٠ اضعاف لانا ١٢ مليونا ولنفرض عدد المسلمين ١١
مليونا لاغير كانوا ضعف اولئك مائة مرة وعشرا و يضربها فى ست
مدارس تكون أعدادها هنا ستمائة وستين مدرسة واذا ضرب ١٠
عدد المدارس الاهلية فى ١١٠ ساوى ١١٠٠ و باضافة ٦٦٠
يكون مجموع المدارس التى تنشئها الامة حتى تلحق بالقرم لا او روبا
١٧٧٠ مدرسة تبنى على نفقات الامة لا الحكومة أفليس الامر
يورث الجزع والحزن ، لقد حق القول اليوم ووقعنا فيما
استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اللهم انى اعوذ بك من الهم
والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل

وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ) كان النبي صلى الله عليه وسلم كانه ناظر لنا اذ ذكر العجز والكسل والجبن والبخل ، فقد اجتمعت هذه النقائص الاربع التى مادخلت امة الا اورثتها غلبة الرجال ، فيا حسرة على بلادنا وياضيعة المصريين ، وياسوء حالنا اذا لم نستيقظ من غفلتنا ، يا أبناء بلادى بالله عليكم اى الامم سابقتم ، ها نحن اؤلاء ضربنا لكم مثلا بمسلمى القوم فالى متى نعيش جاهلين ؟ اذا أردتم أن تلحقوا بالقوم لا باوروبا ، وجب أن يكون فى البلاد ١٧٧٠ مدرسة ابتدائية ماعدا مدارس الحكومة ، فما بالكم لو طمعتم فى اللحاق باوروبا نفسها ، ضرب الله لكم مثلا بامة القبط فهل فهمتموها ، وهلا اتخذتموها نبراساً لكم تهتدون به انهم نصف عشركم ، ولكنهم ينالون فى الشهادة الثانوية أكثر من الثلث فهم على هذا التقدير أرقى فى التعليم سبع مرات ، فهلا اجتهدتم لتلحقوا شاوهم لهم مدرسة ثانوية ، وعلى قياسها كان يجب ان يكون لنا عشرون ، فماذا فعلتم لتلحقوا بالسابقين أمدرسة الالهامية المنشأة فى هذين العامين ، أمدرسة شبين الكوم ؟ افلا يجب ان تكون المدارس التجهيزية ٢٠ حتى نلحق بامة القبط فضلا عن الطليان والالمان ؟ أفليس من العجب ان نكون محط رحال الامم ولا نفقه ، وان فقهنا لا نعمل ، وان عملنا نتحاسد ، وان حسدنا أوقعنا الاساءة الاساء مثلا القوم الظالمون لو ان اغنياءنا أسسوا لهم جمعية تضمهم وتجاوز كل من ملك خمسين فدانا فاكثر عن فدان من ماله ، لاجتمع عندها الاف مؤلفة من العقار ولقاموا بامور كثيرة مادية وأدبية ،

## — ٥٦ —

### ٣ فبراير سنة ١٩٠٩

الا انما مثل العقل الانسانى كمثل الكرة الارضيه تنبت العشب والكلأ واشجارا بهية فى الصحراء ، ولو اعوزتها الاعمال النظامية من الحرث والسقي لزرع ما يأكله الناس ، هكذا العقل لا يفتأ يخرج علوما ويظهر اثارا اذا غادر دراسة العلوم المنظمة فى المدارس وبعض العقول التى فيها فضل على ماعرفت من العلوم الرسميه تبتهج بزهرات الاخلاق وثمرات الآراء ، وفرائد الحكم ، وعجائب الملح الشاردات البهيات ، كانها الغزلان فى الفلوات والطيور على الاغصان مغردات ، لقد كان اولئك المفكرون سبب ارتقاء العلم فى اوروبا فان اكثر الفلاسفه منهم أقل علما بالعلوم الرسمية عن غيرهم ، فلا تستصغر خاطرا يمر بخلدك فلربما كان فيه حياة الابد لامتك لا تحقره فيسقيه الوابل من العقل الاعلى ، وطل الفضل الالهى وتسخنه حرارة شمس الغريزة الانسانيه وينبت فى أرض العقل ، وينمو فى جو الآمال ، وتحصده الاجيال المقبلة ، فاذا أنت امت فكرتك وحقرت موهبتك ، كنت كمن ورث عن أبيه ارضا مزدانة بغابة فيها الغزلان والنمور والفهود فيها الطيور المختلفه الالوان الجميلة الاصوات العجيبة الاشكال ، فتركها جهلا بنعمته ، وكفرا بخالقه ، فان الهمت بحكمة وأوحى اليك رأى فقل الحمد لله رب العالمين وكن لله من الشاكرين

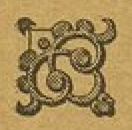
# — ٥٧ —

ليلة ٤ نوفبر سنة ١٩٠٩

## ﴿ اللوف والنخل ﴾

اللوف نبات يحمل ثمراً مستطيلا متى نضج صار آلة لغسل الاجسام لينظفها و يزيل عنها الدرن ، اشبه بالليف ولكنه أبيض ناصع ، هذا النبات ينمو سريعا فى الفصول الحارة والمعتدلة ، و يمتد سريعا على النخل الباسقة ( الطويلة ) رأيته التف على نخلة ، فجلل سائر جذعها وجميع افنانها واوراقها ، وتسلقت على اخرى فاخذت بخناقها ، وسارت معها علوا حتى شارف اغصانها العليا ، وهى باسقة جداً ذلك فى هذا الفصل انها ستذبل قريبا ، ولكن النخلة لا تذبل ربما كان عمر النخلة ٤٠ سنة وعمر اللوفة لايكاد يجاوز ستة أشهر ، سارت اللوفة حثيثا وابطات النخلة ، ما اسرع ما اثمرت اللوفة وما ابطا ثمر النخل هذا مثل ضربه الله للناس والامم ضربه لهم لعلهم يتذكرون ، اراهم عيانا كيف اعطى ، ما عظم نفعه وجل قدره ، وحلا ثمره ، وبقى أثره ، عناية اشد ، واحكاما اوسع ، وأبهى وابهر ابطأ سيرها واخر ثمرها ، ولكن اطال عمرها وابقي اثرها ، هكذا ترى اهل الرياء والنفاق الكاذبين اسرع الناس سيادة ، واكثرهم مالا ، واقربهم من الامراء مجلسا ، يغشون على عقول الناس فيسودون

وهكـذا اولئك الثرثارون المتفيهقون يتبججون بالعلم ، و يحفظون مسائل يحاجون بها خصماءهم وان هم الا مجادلون فبذلك يهابهم الناس و يخافونهم ، وهكذا أولئك السبابون الذين يحاجون اقرانهم بحجج ملوثة بالشتم ، وملطخة بآثام الغضب ، فاؤلئك لهم حظ قليل حتى اذا حصحص الحق و زهق الباطل ، و وقف الناس على مراميهم ، و أطلعوا على دخائلهم وأغراضهم ، رموهم من حالق وزجوا بهم فى سجين الاذلال كأنهم زبد احتمله الماء فيذهب جفاء (لا ينتفع به) ، وأما من ينفع الناس ولا يرائى فذلك سيلاقى فى ابان عمله عوائق جمة ويعاديه المحبون ، فاذا سار فى اخلاصه وجد فى أعماله فله عقبى الدار ، وهو السيد الذى أشبه النخلة الباسقة طال أمدها وكثر ثمرها ، الا ان الثمرات على مقدار الأعمال ، ولذلك نرى رجال الحروب من القواد العظام ، والملوك الكبار ، تسير بذكرهم الركبان سريعا وتخبو وتنطفىء سريعا أما الحكماء والفلاسفة فما أبطأ ذكرهم ، وما أدوم فضلهم ، فهم كالنخلات الباسقات وكالماء (وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) ليسقى الحرث ويروى النسل ذلك مثل اللوفة والنخلة ضربناه مثلا للناس لعلهم يتذكرون.



- ٥١ -

## ﴿ ضوء الكهرباء نهاراً فى مركبة الترام ﴾

سارت مركبة الترام فى اليوم و بينما هى سائرة إذ سطع نور بهيج أزرق أصفر بين العجل والقضيب الترام يجرى والناس يطلبون غاية يسعون لها فى أعمالهم ، وهم يجدون ، فاشرق نور الكهرباء . من الحركة بين المركبة والحديد الممدود تولدت الحركة الكهربائية السارية فى الاسلاك . الكهرباء خفية غير ظاهرة ولدت ضوءاً ساطعا ونوراً بديعاً ذا منظر يسر الناظرين ، سطع النور بغتة والناس لا يشعرون

انهم كل يوم يشاهدونه كانه وميض البرق أو نور الكواكب ، ان له لمنظرا جميلا وعجيبا خشب وحديد يخرج من بينهما نور ساطع ، هكذا أعمالنا وحركاتنا فيها سر وجمال ، ان فى جميع الاعمال سرا عجيبا ونورا خفيا ، ان فى أعمالنا اليومية سر السعادة ان فيها لسلوة اذا تدبرناها وفهمناها قد يتخذ المرء من الضعة عزا ، ومن الالم لذة ، كما اشتق من الحديد نورا ضاحكا باهرا فلتكن اعمالنا اقسى من الحديد فان فى باطنها من الجمال مايظهره البحث فيتجلى لنا جماله فيسر الناظرين الا أن فى نور الكهرباء الساطعه ، فى الحديد وفى شرر النار المتطاير من أحجار الجبال ووميض البرق وضياء الفوسفور ـ ونور الشمس واضاءة الزيت ـ وشمع العسل ـ ودهن الحيوان ذكرى

للانسان ان النور والجمال يظهران فى الاجسام الصلبة والطائرة والسائلة من الجلاميد والمعادن والنبات ، والحيوان ، والماء ، والهواء فكيف لايكون اشراق فى أعمالنا ولا سعادة فى حياتنا ؟

نعم فيها سر السعادة لمن فطن لها كما يفطن الساهر ، وقد تمطى الليل بصلبه وأسدل ستاره ، وغطى كل ماعلى البسيطة وأغمض الجفون على العيون يفطن لنجوم ساهرة ، وبروق باهرة ، فيبهره الجمال والناس غافلون ويسرى بضوئها والعالمون نائمون ، فهكذا فى هذه الحياة سعادات مخبأة ونعيم مقيم لمن يعقلون ، فليفطنوا لدقائقها وليعلموا انهم سوف ينالون مابه يسعدون ، اذا بحثوا عنها فى قلوبهم وطلبوها من نفوسهم ، فلؤوها حكمة وهم بها موقنون ، وعلى سنتها يعملون وهم بما يحدث رضون ، مطمئنون « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضيه فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »

« ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون »

ان فى هذه الآية لبشارة لضعفاء الامم ان سيمن عليهم بان يكونوا لانفسهم قادة ، وان لهم الحق فى ادارة بلادهم فلهم الشورى وعلى الملوك طاعتهم وسمعهم يطاطئون لهم الرءوس ، ويخضعون لجبروت اولئك الضعفاء ، ويخرون سجدا لما يؤمرون ، وفى قوله تعالى ( ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون )

إشارة الى ما يصنع الملوك فى طريق ضعاف الامم من العقبات ويحرمونهم التعليم حذران ينالوا قسطا من العلم ، وقبسا من نور الله ، وبصيصا من بارق الآمال فيطؤونهم بكلاكلهم ، ويباعدون ما بينهم وبين نور الله الفائض على العالمين ، فوعدهم الله أن سيرى الظالمين قوة الضعفاء التى خافوها وعلمهم الذى منعوه ، وحريتهم التى حذروها ، فيرفع قوما ويخفض آخرين ، ولقد صدق الله وعده ونصر عباده المساكين وأقامهم على سادتهم أوصياء فاصبح امر الشورى مطاعا فى اكثر الامم الراقية والغربيين فياليت المسلمين علموا ذلك وقاموا به ، فنبذوا الملوك الخائنين وكبلوهم وجعلوهم حصيدا خامدين ،



## - ٥٩ -

### ﴿الملابس﴾

اليوم نظرت الملابس . انا كل يوم اشاهد اللابسين انى وسائر العقلاء لانفتأ كل يوم نرى اخواننا وابناء بلادنا وجميعهم لابسون لا احد فى نوع الانسان لايلبس ولكنى فى هذا اليوم اتخذت الملابس كانها درس الحمد لله ان كل مشاهد امامنا يجهل العامة سره ويرى المتامل فيه حكمة سرت فى شارع الركبية اذا اناس فى الطريق هذا له حلة بيضاء يغشيها ثوب اسود وراءها شاب ذو ثوب اسود وهذه امرأة

ذات قميص ابيض منقوش بالزرقة وفوقه ثوب اسود وراءها رجل يحمل (خبازى) ليطبخها وراءها فلاح ذو «كساء اسود» وهكذا تجلت لى هذه المناظر فخيل الى ان معرضا عظيما ومحشرا تعرض فيه انواع الزهر البواسم من احمر كالمرجان وازرق زاهرا وابيض يققا كالجوهر المكنون واخضر كالزمرذ ومنها ما يشبه الطيور التى ابيض ذنبها واسود ريشها ، ومنها ما هى خضراء أو صفراء او حمراء ، من كل ذات لون او الوان . الانسان عرضت فيه اصناف المخلوقات عرضا ظاهرا واضحا بدت فى ملابسه وكانه اذ قام مقام العالم فى العبارة أراد أن يعرضها مصورة فى ملابسه ، انه لم يدع زهرة ولا ثمرة ، ولا حيوانا ولا نباتا ، لها لون من الالوان الا لون ثيابه به وجعله حلية له . كل نوع حيوان او جنس أو طائفة يلازم لونا خاصا له بعض الملازمة والانسان لون ثيابه بسائر الالوان فلم يلزم طريقة ريش الطائر ، أو جلد البهائم أو فلوس السمك بل تنوعت الوانه ـ كما تنوعت لغاته ، لا ضرورة للغات الا للافهام ، ولا معنى للثياب الا للوقاية فاخذ الانسان فيهما بالتحسين حتى صور فى ملابسه كل لون وزينة حتى انك لترى الطربوش كقنزعة الديك «وهى حمراء على رأسه» لهذا قال بعض الفلاسفة ان الانسان ليس نوعا واحدا كسائر أنواع الحيوان ، الا انما الانسان انواع بل يكاد كل فرد منهم يكون واحدا فى نوعه لا يشركه سواه ، والا فلماذا تختلف الملابس واللغات ولا تختلف ريش النوع الواحد اولغته أو الطائفة من النوع فى سائر الحيوان ونوع الانسان لون ملابسه ونوع لغاته وهذا من العجب

## — ٦٠ —

### ﴿ كبر النفس وصغرها ﴾

« ان من الناس من لا يفهمون كيف يكافئون بالجميل »

يصنع معهم الجميل فيجهلون أنه معروف ، لماذا ان لهم نفوسا ضعيفة تتلقى الاحسان من الناس كما تتلقاه من السحاب والشمس والقمر ، يجلسون فى الشمس ، و يستضيئون بالقمر و يستسقون السحاب و يأكلون النبات ، وهم يجهلون الاحسان ومصدره و ربما ذموا السحاب فقال أطفالهم عيب عليك ايها السحاب أن تمطر والشمس طالعة ، وتراهم يستقبحون الارض فاذا ذموا انسانا قالوا هو كالارض دلالة على انهم لها مستصغرون ومحتقرون ، مع انها امهم ومصدر ثروتهم عليها حياتهم ومنها يولدون واليها يعودون ، انهم منها هذا أمر واضح بديهى ولكنهم لصغر عقولهم (وقد بهرهم الاحسان وغمرتهم النعم) أعمتهم لانهم لا يفهمون الجميل الا اذا منع ، ولا المعروف الا حيث يتبع بصنوف المخازى والمكاره ليعرف الفرق بين الحالين ،

ان ذوى النفوس الصغيرة عند الآلاء والنعم كمثل الخفافيش والبوم يبهرها نور اشراق شمس عموم الاحسان فيغشى على أبصارها فلا تفقه له معنى الا انما يعرف المعروف ذوو النفس العالية لتذوق طعمه وتقيم له وزنا فلا تنل ذوى النفوس الصغيرة النعم الا بمقدار ،

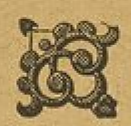
وأخلص في أعمالك وزن كل ما تعمل وما تقول

كلما قربت نفس الانسان من الله أحبته وأخلصت فى خدمة الامم ، ولا يهيم بجلاله الا ذوو النفوس العالية ، ولن يخدم امته ويجد فى منافعها الا ذوو النفوس السامية ، الا انما شكر الخالق فعل المصالح العامة الا انما يزاول المرء من العمل على مقدار همته وهمته على مقدار علمه ، وعمله على مقدار علو نفسه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

## - ٦١ -

### ﴿ شيخ فى الطريق يبصق ويتمخط ﴾

رأيت شيخا سائرا فى الطريق يبصق ويتمخط ، ولكنه فى حال تنافى الوقار يتمايل يمينا وشمالا ، بصق وامتخط فلم تعجبنى هيئته ووددت أن يزن الانسان حركاته فى السراء والضراء ، والخير والشر ، ان حركات الانسان موسيقى فليصلح المرء موسيقاه ، لينظم أوزان حركاته وكلماته ليسر الناظرين ويطرب السامعين



# — ٦٢ —

## الملابس والعلوم واللغات

قلنا فيما سبق ان الانسان لبس من كل لون فلم يدع ريش طائر ولا جلد حيوان ، ولا زهر نبات الا لبس ماشا كله فى الالوان هكذا قلد كل صوت من اصوات الحيوان وغوير الاعشاب وحفيف الاوراق ، ورنات الغابات فى اعماله الموسيقية ، وهكذا حفظ عقله نواع العالم فخزن صوره وجمع أشكاله فى خزاناته فما أشبه لسانه بعقله وما اشبههما بلباسه

أيعاب الانسان على تغاليه فى جمال الملابس والزخرف والزينه، ايزول عنه وصمة النفاق ، ايصل الى نعيم الحياة ؟ لاريب انه كلما كان اجتماع الانسان اكثر زاد فى زينته الظاهرة ، ألا ترى العروس و بعلها ، والملك وجنده ، والامراء وأعوانهم ، والعلماء وتلاميذهم كل اولئك يحسنون ملابسهم ، ويزينون ظواهرهم ، ويتعطرون ذلك لتألف الانظار اشخاصهم ، وتعشق النفوس مناظرهم ، وتهوى حاسة الشم روائحهم ، انهم فى الجملة لاحسن اخلاقا ممن عداهم ليحسن الاخذ منهم والعطاء ، ذلك كله لمكان الحاجه والاجتماع ، الا ترى الاشجار تكون خضرة نضرة وقت الربيع اذتأوى اليها الحشرات لتكسبها الالقاح ، فتكون الثمرات اذ تطوف الحشرات فتعشق

الازهار لبهائها ، وتهوى روائحها العطرية فتعمد اليها سراعا ،
فاذا ادبر الربيع وتولى ، انتهى دور الثمرات وذهب شباب الازهار
وأخذ الحسن فى الزوال فبس الدهر و بسر للاوراق والاغصان
فالجمال فيها لمنافع عالية وما رب غالية ، وهى اجتناء الثمرات من
التزاوج المرغوب المحبوب يبهجة الحسن وطيب الرائحة المشوقة
للفراش ، هكذا الانسان كلما كان أكثر اجتماعا كان أميل إلى
حسن الزينة والجمال وان خبثت الطويات وساءت النيات ، وفى
خلدى أنه سيأتى على النوع الانسانى يوم يضاهى فى إشراق جمال
أخلاقه جمال النجوم وبهجة القمر والشمس ، ويحاكى فى ملابسه
زينة الازهار وبهائها والاشجار وجمالها ، ونقوش ريش الطير
وزخرف جلد أبدع الحيوان ولا يبقى ذو خلق سيء ولا قبيح الهيئة
فانا نرى أن كل حيوان ونبات أعطى خلقه وجماله فاما الانسان
فلم يزل كما قال الله تعالى (ظلوما جهولا) يسعى فلم يتم جمال
ظاهره ولم تحسن سريرته ، فله وجهان وجه يقابل به الناس ووجه
يقابل به الحقيقه ولن يكون الناس أناسى الا متى جمل الباطن، فلاخيانة
ولا كذب وجملت الملابس فكانت زهوراً باهرة ، وذكت رائحتها
فهى بهية عطره ، هنالك يشرق وجه الانسان ويكون فى أحسن
حال وابهج نعيم ، اما الموسيقى فسيأتى زمن تصبح فيه الآلات
البخاريه جميعها مطربة ، اذ يركبون فيها آلة موسيقية تتحرك بحركة
الآلة وكل آلة حركتها نوع من الموسيقا فتكون طربا للعاملين

وتنشيطا للكاسلين ، ونهضة للاعمال هكذا سيكون وهكذا سيسعد الانسان بعد حين

---

## — ٦٣ —

( ليلة ٧ نوفمبر سنة ١٩٠٩ )

### ﴿ دعاء الامة ﴾

يا الله اهدى قومى الى سبيل الحكمة والموعظة الحسنة ، وابدلهم بالنكت المضحكات ، عشق العلوم ، وحب المعارف ، يا الله انى قلما يسرنى مجلس فى بلادى وقد أصادف من علت مداركه ، وحسنت عبارته ، ويندر أن اعثر على عشاق الحكمه والعارفين ، يا الله قلت المدارس والدروس ، ولا نصير لقومى ، فاجعل اللهم لهم منك ومن أنفسهم نصيرا ، اللهم ارنى مجالسهم غاصة بالعلماء والفضلاء ، وذوى التجربة ، واقل اللهم من أولئك المتفيقهين المتشدقين الذين مثلهم كمثل فقهاء القرى يحفظون مسائل صغيرة ويتباهون بها فى المجالس وهم عن العلم معرضون ، وباللهو والباطل مغرمون ، يا الله لقهم من لدنك حكمة تبعدهم عن الفرح بذم من يحبون العلم والحكمة حسدا و بغيا ان ينال غيرهم من الله فضلا مبينا ، يا الله الهم أهل العلم والحكمة أن يعلموا اخوانهم ذوى المال ويدلوهم على سبيل رقى البلاد فى الدارين ، يا الله اجعل لقومى كرامة بين الامم وازل عنهم الحسد والكراهة وحب الرئاسة والبخل بالمال والاعجاب بالنفس والتواكل انك على ما تشاء قدير ، يا الله علمهم ان الرجال بالاعمال

## — ٦٤ —

( ليلة ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٩ )

### ﴿ المرض يمنع الحكمة ﴾

اعترانى مرض منذ ليلتين منعنى الكتابة ، كنت أرانى صحيحاً ولكن قلبي لا يستطيع التفكير ، ولسانى لا يسرع القول ، وقلمى لا يحسن التحرير ، وعرفت نعمه الصحة ، وفهمت آلاء الالهام وكيف يلهم المرء فى لحظة ما لا يلهمه فى شهر فلما أن سرى عنى اخذت القلم وكتبت هذا ، فلا نتهزن فرصة صحتى وأقيد ما يلقى الى قلبي من المسائل والله ولى التوفيق

بينا انا اكتب هذا طنت بجانب اذنى ناموسه طنينا فيه رنة الحزن والالم ، اذكرنى ذلك زمن الصبا ، اذ كان طنينه فى الخلوات بالليل يوحى الى قلبي حزنا على الجهل ، وكاننى كنت أسمع منه رنات المآتم على هذه الدنيا وعقول اهلها وكيف يجهلون سر الوجود وهل لها آخر ، وهل هذه العوالم ممكنة العلم ، أم هى عبارة عن دار تضل فيها العقول وتتحير الافهام ، فكان ذلك الرنين رنين أجنحة الناموس ينفذ الى قلبي معانى تحوم حول ما ذكر ، فيحدث فى نفسى الما للجهل ، وحزنا وحسرة على النفس

## ﴿ لا تعط الحكمة ولا المال الا بنظام وتدريج ﴾

اذا أعطيت الحكمة لغير اهلها ، كان علمت الصغار نهاية الحكمة انالوك الاذى هكذا اذا امددتهم بنعم الدنيا فهم يهينونك متى كانت فوق ما يستحقون ، ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء ( انه بعباده خبير بصير ) على ذلك يجب الا يملك الفتى مال ابيه حتى يملكه ابوه فى حياته طائفة من ماله كبيره ، والا يفاجأ البنون به دفعة واحدة والا هلكوا وضلوا ، فليكونوا اعوانا لآبائهم فى حياتهم الدنيا حتى لا نغشى على ابصارهم غشاوة من النعم ، فتسكرهم خمرة لذتها ، ويبيعون ما يملكون لانهم لا يعلمون له وزنا ولا يفهمون له معنى ، هذه القضية صادقة . ألم تر الى الشمس اذا طلعت والليل اذا ولى ، فان الاصباح يتدرج من نهاية الليل الى مبدأ الصباح ، وهكذا الاظلام لا يفجأ الناس مرة واحدة ، كذلك الموت لا يفجأ الناس غالبا ، وانما يكون المرض فالموت ؟ هكذا العقول لا تكون مرة واحدة ، فالصبا ثم المراهقه الخ ولو ان الطفل اصبح رجلا بلا تدريج لذهل ، هكذا الرجل الفقير اذا فاجأه كنز فانه ينبهر ، وربما يموت ، هكذا يقال لو ان الاكمه ابصر فجأة جمال العالم لدهش فمات ، هكذا الابناء فليدرجوا لحفظ اموال آبائهم فى حياتهم والا اصابهم الطيش والجهل وضاع المال



## — ٦٥ —

(ليلة ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩)

(حكمة الله فى جسم الانسان)

قال لى فاضل من الاطباء ـ لقد أتى الطب الحديث بالعجب العجاب ودهش اطفال العلم المادى وخضعت رقابهم ، وذلوا للحكمة القائمة على علماء التشريح ، قد كانوا يقولون ان فى الجسم بقايا من حيوانات تسلسل منها الانسان ، تلك البقايا لا قيمة لها وليس يقام لها وزن ولاحساب فى علم الصحة وعلم المرض ، كمثل غدات فرازات تحت الجلد الكاسى لحلقات الحنجره ، هكذا غدد اخرى بين الفك والرأس كغدة اخرى فوق الصفراء ، وكالكبد والامعاء الغلاظ ، لقد كفر اطفال المشرحين من قبل عشر سنين فقالوا ليس لهذه الاعضاء معنى ولاغاية لها ، الا انها بقيت موروثة عن حيوان كان لها فيه معنى ولا غاية لها فيه الآن ، فانعكست آياتهم وخروا سجدا ذلك ان الغدات الفارزات فى الرقبة ترم فى كثير من الناس ، فاغتاظ منها احد الحكماء فازالها فلما ان خلا منها الحنجرة اصبح الرجل ابله لا يفقه ولا يعقل وينزل اللعاب من فمه بلا ضابط ولاحساب فلما ان ادخل فى الجسم نظيرها من حيوان آخر شفى المريض فاما ما بين الفك والرأس ، فانها لما انتزعت غلظت اليدان والوجه وصلبا وكبرا حتى صار الوجه قبة مصفرة واليدان عمودين مصفرين ، فلما أن وضع نظير الغدات من حيوان آخر فى الجسم رجع لسيرته الاولى ، هكذا غدة المرارة اعقب انتزاعها ان صار الجسم نحاسيا ولما رد فيه نظيرها رجع لسيرته الاولى كمثل الطحال اذ اعد مخزنا للدم لاقترابه من

المعدة ، فهو يتقبل ما تطرده من الدم اذاتقلصت وانكبت على اعمالها الرسمية من هضم الطعام ، فاذا نشطت وارادت استرداد اماناتها المخزونة فى الطحال ردت اليها سريعا ، وللطحال فوائد كثيره ، فهو مصدر الكرات البيضاء وهى حيوانات صغيره كانها الشرطة لملاقاة الامراض فى الجسم ، كالحروق والجروح فانها تبنى عليها طبقة من انفسها ثم تخيم عليها طبقة اخرى ،وله فوائد شتى ولو علمت ماعثروا عليه من فوائد الامعاء الغلاظ وكيف كانت ذات غدد تفرز مواد ، وترسل من لدنها دما يسير فى الدورة الدمويه لتغذية الاجسام وكيف كانت محولة لبعض السموم الى مواد نافعة ، فبطل ما قال صغار المشرحين ، واصبحوا اليوم اطفالا ليسوا من العالمين ،

---

## - ٦٦ -

### ( أترقى للانسان أم تنزل )

المدينة آخذة فى الرقى وما ادرى الانسان آخذ فى الرقى أم التدلى؟

يطلع الناظر على الملابس فى الآثار فيرى جلودا فملابس خشنة فمتقنة الصنع شيئا فشيئا حتى يصل للعصر الحاضر ؟ شرفت الصناعات فبهرت العلوم ، ولكن هل ارتقى الانسان ؟ انا لا ادرى ، أفى العلوم والسياسات وهما يحولان بينه و بين قلبه ، فالوجدان مضروب به عرض الحائط ، والاخلاص والفضيلة مزدريان ، وللناس على عقولهم اغشية ونفوسهم ومن يسرع فى المراوغة والمحاولة والكذب ولبس الوانا من الدهان كما يلبس الوانا من الثياب ،

فذلك الذى يشار اليه . أم فى الصحة والاعمار فى المدن أقصر منها فى البادية ، شاهدت شيخا يعيش مائة وعشرين سنة وآخر يعيش ثمانين وهما قويان فقال الاول ان هـذا ولد واشار للثانى ولا صحة للمترفين ، أم فى القوة وهى ربيبة الصحـة ، أم فى العقول وصحة الحواس والغرائز ضالة ضائعة بين انواع العـلوم ، اللهم ما ارتقى الا انواع الصناعات والثروة

---

## — ٦٧ —

( ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٩ )

( اختراع العالم شعاع من ابداع الله )

كما أن اجمل العلوم واعمها نفعا ما اخترعته العقول من الروايات وما فيها من الامثال والحكم وعنها تصدر الامم والاجيـال هكذا كان هذا العالم مخترعا بذى حكمة فكان عجيبا فى وصفه ، بهيا فى رونقه

أشكو اللهم اليك سوء اخـلاق الامه ، يخلفون العهد ، ولا يوفون بالميثاق

---

## — ٦٨ —

( العلم والعقل )

يولد زيد فتضرب المدافع بشرى لمولده ، وتقرب القرابين وتقدم الهدايا ، ويولد عمرو فيقال هو ولى العهد ، ويرث خالد المال وهو

لم يدر ما فوائده ، ويكون الرجل فقيرا فيزدلف الى عظيم ، فيجعله فى مصاف الاغنياء ، فلان وضيع فيرفعه اقترابه من الامير ، كل ذلك مشاهد ليس له قانون معروف ، ولاحد موصوف وانما هى امواج بحر متلاطم ، وهبات نسمات فى اهواء وذئاب وغزلان واسود وافراح واحزان ومسرات وآلام ، مسرات لقوم ، وآلام لآخرين تلك سنة العالمين ، ولعمرى ان ما تكسبه الزلفى وتقربه القرابة من المال والجاه معد لان تذهبه حوادث الايام وصروف الدهور ، فما اعطاه الزمان فانه لحب اخذه لشديد ، اعز الامور ما جاء بلا شفاعه ولا جاه ، الا ان العلم والحكمة لا ينالهما الا العاشقون ، ولا تنفع فيهما شفاعة الشافعين ، ولن يقدر ملك ان ينيل ابنه الحكمة وعقله يأباها ، ولا يتسنى لغنى ان يرشى المعلم حتى يملأ دماغ ولده وهو غبي جهول ، ألا لا يستطيع احد ان ينال الحكمة والعلم الا بنفس صافية ، وقريحة وقادة ، وطلب مستمر ، وسهر دائم ، ان ذلك هو العدل الالهى والوزن الحق ، والصراط السوى ، الا انما الباقى للنفوس بعد الموت من الاحوال اعزها ولا يدوم الا اقربها للعدل ، وابناها على الصدق ، وابعدها عن الظلم ، واولاها فى الشرف وأرفعها وأقومها ، ألا لا يبقى للناس الا الحكمة والآراء والاخلاق والعقول والاعمال ، فهى الباقيات الصالحات وهى خير عند ربك وخير املا ، يغصب الملك من الملوك ، ويسرق المال من الصندوق ، ويداس على شرف الشريف وقد يزجون جميعا فى السجون ولن تسرق الحكمة من نفوس العالمين ولا تغصب العقول من ادمغة الاذكياء الفطنين ، بل لكل نفس ما كسبت. ذلك هو الفضل المبين ، هكذا

سيبقى العلم والعقل صلتين بيننا وبين الله العدل فى دار الخير مقرونين بالاعمال والاراء ههنا ظهر العدل الالهى ورتبت النفوس وصار الناس فى حضرة العلم صفوفا منظمين وما ربك بظلام للعبيد

---

## — ٦٩

(١٦ نوفمبر سنه ١٩٠٩)

رب قول انفذ من صول ، خاطبنى صاحب فى شان معترض علىّ فى الكتاب ، فأثر قوله تأثيرا قويا فى نفسى ، وقد كنت أعلمه من قبل ذلك وقرأته ولكن للقول سلطان : ولصوغ القول من التأثير على النفوس ما لا يفعله الكاتب بكتابه : لهذا كان الانبياء عليهم السلام دعاة باقوالهم وحديثهم وفى نواديهم يسامرون الاصحاب ويحادثون الخلان ويأسرون العقول بسحرهم الحلال : ويتصرفون فى الارواح تصريف القدرة لليدين واليدين للقلم والقلم للكتاب : ان فى القول لسرا عجيبا : الحقائق مشاهدة للناظرين معلومة للعاقلين ولكن للقول مزية عظيمة : القول سلطان النفوس وكهرباء العقول وشمس الارواح تنبعث منه حرارة وتنفذ منه اشعة وضاءة تحلل المعقود من الاعمال وتعقد المحلول من الآمال وتبرم المسحول (الخيط المفرد) وتعز قوما بحكمتها وتذل آخرين بطولها فهى خافضة رافعة كمثل حرارة الشمس تقع على الادهان فتسليها : وعلى الطين السائل فتجمده : هكذا الاشعة الساقطة من الكلام

## — ٧٠ —

( ٢٥ نوفبر سنة ١٩٠٩ )

مضت أيام عدة لم اخط فيها حرفا ولم اعمل عملا قط الا دروس المدرسة ، وذلك لسآمة فى النفس ، وضعف فى القوه ، وخطر لى أثناء ذلك كله مايأتى ،

(١) اليوم لمحت أشجار عابدين وقد ماست وقت الظهيرة والنسيم يتلاعب باغصانها ، فكان فؤادى يبتهج سرورا ، وقلبى فرحا ، وقد شاهدت من النافذة السماء والجو والطير مسخرات فى جو السماء ثم ذكرت مايتألب من الاعداء على العلماء وما يقذفون من السهام النافذات والسيوف الصارمات فقذف فى قلبى ان الناظرين بالعقل أوسع نظرا وادق فكرا ، لانهم يتلقون الحكمة فى اكناف الارض الواسعة وهم محصورون فى مضايق من الافهام ومزال من الاوهام

تذكرة ــ نظرت النجوم ليلة اذا هى زاهية زاهرة ، ومن عجب انها حاضرة بضوئها غائبة بحجمها ومكانها ان النجوم وان تباعدت فهى قريبة للعيون هكذا الله عز وجل قريب منا بنوره وعلمه ، وان تعالى عن المادة وتقدس عن الاجسام وهكذا العلماء اذا غابوا باجسامهم وطوت الارض اصداءهم فى لحودهم ، برزوا للقلوب واضاؤا فى البصائر

(٢) سائل سائل عن المادة وعن الجزء الذى لايتجزأ فقلت للعرب والافرنج مباحث فى هذا المقام والفريقان متفقان بعد البحث والتنقيب ان المادة مآلها الرجوع لاصل لطيف روحانى عند الاولين ، وكهرباء وضوء وحرارة عند الآخرين ، قل ان الاولين والآخرين لمجمعون على رجوع المادة لاصل لطيف بعد ان تحظى

الفريقان الجزء الذى لا يتجزأ وهو ليس متجانس الاجزاء كما تصنع من الحديد فأسا ، ومن الخشب بابا ، وكذلك المتجانس ، كما صنعنا من الخشب سريرا وكرسيا ، ثم تعدوا ذلك كله ووصلوا الى القول بانه مادة بسيطة لطيفة ، ومن عجب ان اقل الاشياء يقبل القسمة بلا نهاية ، كالحيوانات الصغيرة المسماة مكروبا فلعل فى باطنها من دقائق الحيوان مالا تدركه الاوهام ولا تعقله الافهام وهل يقف العقل عند امد محدود هكذا ترقينا الى الاجرام العظيمة والهيا كل الكبيرة من الاجرام السماوية والنجوم العظيمة ، واعدادها فانها قد تبلغ ٢٣ مليونا وفى السماء من الكواكب فى المجرة مايدهش العقول ويحيرها ويستحيل على الناس ان يصلوا الى استكشاف جزء من ملايين الملايين منها ، وقد حجبنا عنها فما اجهل الانسان وما ابعده عن العلم والحكمة ، ان الانسان لظلوم كفار ، ألم تر الكواكب كيف عظمت احجامها وبعدت فى اقطارها واسرعت فى سيرها وكثرت فى عددها فلا عظمتها ادركنا ، ولا بعدها حسبنا ، ولا اقطارها وصلنا ، ولا اسراعها عرفنا ، تعالى الله فى العظيم والصغير ، وتقدس فى الجليل والحقير ، وتكبر ان يعقله العاقلون ، ويدرك كنهه العالمون ، فقال السامعون وكيف حيرنا فى عظمة الخلائق . فقلت هذا هو الجمال ، ولن يبهر الجمال الا اذا حارت فيه العقول فضلت فى دقيقه وعظيمه ، وجله وجليله سعادة الناس فى عقولهم بما يحيي اجسامهم وما ينميها فى حياتهم ظاهرها نمو الاجسام وباطنها رقى العقول فهى مناط حياتهم ومبدأ خلقهم وبالاجسام يكتفى الجاهلون ، وذووا العقول العاليه يسعدون ارواحهم بتعقل النواميس الطبيعيه ، والحكم الملكيه ، والعجائب السماويه ، والبدائع الارضيه ، كما ان اجسامهم

تتغذى بما ألقت الارض و يروون بما انزلت السماء من ماء فما نفع الاجسام عشقته العقول

---

# ٧١

(١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٩)

اليوم جلست بساحة بركة الفيل وامامى شجرات ناضرات ونخيل جميل ، فقلت ان فى الدنيا لجمالا ، ان فيها لحزنا و ويلا ، وألما ثقيلا ، الدنيا جنة العارفين بحكمتها الناظرين لنظامها الواقفين على حسنها وجمالها ، الدنيا جنة عرضها السموات والارض للعارفين ، ونار كلها عذاب وسعير على الجاهلين الدنيا ، نعيم المفكرين ، ولظى الغافلين ، الدنيا لا يتمتع منها الجاهل الا بشهوات الحيوان ، وزهو الطاووس ، واقتناص الاسد ، ويسرح العالم فى حكمها وجمالها ، أرأيت لو أن روحا فى عالم آخر فذكر لها الجلال فى هذه الدنيا ماذا كانت تقول ، انها تسارع الى طلب السياحه فى عالمنا بطريق الولاده والسير معنا فى سبيل الحياة ، ولئن احبت ارواح هذه الحياة لزخارفها الظاهره ومشاركة الحيوانات فى ما كلها ، فكم من نفوس قدمت الى هذه الدنيا لتدرس علومها وتفهم عجائبها وحكمها : وترجع الى ربها راضية مرضيه ، الا ان الحياة سر مصون مكنون وطلسم محجوب نحن فى الدنيا سائحون أو عاشقون ، وكل يصطفى لنفسه ما يشاء فمن شاء كان حيوانا بهيما ، بالشهوات ومن يشاء كان اسدا فى الغابات ، ومن أراد فليكن ملكا من ذوى الفضل فى الامم ،

## ﴿ التراب أغلى من الذهب ﴾

فى تاريخه ـ رجعت اليوم من المدرسة فعثرت بحصاة فذكرت ما يخيل للاطفال وصغار العقول من حبهم العثور على كنز تحت الارض مملوء من القناطير المقنطرة من الذهب : ويتمنون لو يتاح لهم السعادة والهناء بمثل تلك المصادفة العجيبة : حتى يكونوا اغنياء بالمصادفة ثم كيف تكون المصادفة خير عون على الاثراء بلا تكلف مشقة ولا مزاولة عمل كالوارثين والمتملقين للرؤساء : الا ان الدرهم والدينار آيتان من آيات الثروة يجلبان لصاحبهما ما يشاء على مقدارهما ولكن كم من ظلم يقع فى الحياة والاحياء بسببهما وكم فتى عثر على كنز فاشترى به العقار والديار : وهو ما حرك له يدا ولا نقل له رجلا : ان الانسان لما خرج عن الفطرة الاولى ونزع الى التوسع فى امور الحياة ونظام المدنيه اعوزه حاكم صامت بين المتبايعين : وحاكم متكلم بين المتقاضيين : فالصامت الدرهم والدينار والمتكلم القضاة والملوك : فصارت النقود حجه لاصحابها قائمة سواء اكسبوها بانفسهم أم عثروا عليها : الا ان الانسان اضحى فى ظلمات من الجهل كم يفرح المرء بالنقد الموروث : والذهب المكنوز : وهو لا يغنى عنه شيئا لولا اعتباره فى الدنيا : وما للنقد غير الحكم بالفضل أو الخسران : الا وان الناس ليجزعون لفقد النقود ويفرحون لوفرتها والحياة قائمة بدونهما والدنيا طافحة بالخيرات لعدمهما مع انها لا تسمن ولا تغنى من جوع : بل باعتبار حكمها وقضائها يرى المتبصر العاقل ان تراب الارض وذرات الهواء اعلى قيمة وأغلى ثمنا وارفع قدرا من النقود : الماء ينمى النبات والتراب يمسكه : ان

تراب الارض أضوء وابقى فى عين الحكيم من الذهب والفضة : الناس لا يفقهون الا ما قرب من حواسهم : والخاصة يفقهون بعقولهم ويدركون بصفاء نفوسهم : ان طائفة من التراب اخرجت من النبات ما يربو على الكنوز المكنوزة والقناطير المقنطرة انها تنبت كل عام لا تفتا تلد لنا حياة لا تزال تخرج لنا قوتا هكذا كل عام على الدهور ومر العصور : فيها الحياة وفيها المادة ، ما الذى فى المال انما هو حكم يقضى أو حجة مع صاحبه يستدل بها على استحقاقه لما انبتت الارض وما صنعت الايدى فالتراب اغلى ، واعلى من الذهب بل لا وزن له بجانبه ، ما أجل الحكمة وارفع العلم كم فى الدنيا من ظلم : ومن اظلم ممن ينقص قيمة التراب عن الذهب اكثر الناس لا يعقلون الا ما يحسونه بحواسهم الخمس :. وهم عن النتيجه غافلون . الا وان فى العالم لظلما وظلمات الا وان فيه لميلا عن الحق وجنفا عن العدل كذلك عدل الناس عن الحق والصدق فى سياساتهم وحربهم وسلمهم واتبعوا القوة ونبذوا الصدق ظنوا المال هو الحياة فعكفوا على اختزانه ومنهم من يجمعه من حل ومن حرام : ومنهم من يبحث عنه فى ثنايا الاحافير : ومنهم من اتبعه فى علم الكيمياء فرجع بخفى حنين : كل ذلك ضلال : ووبال ينفع شخصا ولا يفيد المجموع ولو ان هؤلاء صرفوا همهم لاستنتاج الحياة من الارض مثلا لافادوا المجموع وكم فى المقامرين من واهم أو خادع أو مخدوع ، وهم عن آيات الحياة معرضون ضل الانسان وغوى وزاغ وطغى خرج عن العدل فى طلب الرزق وضل فى حياته السياسيه ومال الى استرقاق اخيه وضربه وظلمه فاغتصب ماله وقامت أمة تضرب امة وتسلبها مالها

بل تجاوزوا ذلك الى ما وراءه فضربوا الاعناق ، وشدوا الوثاق ، وامروا بالتجافى عن الحكمة ، والتباعد عن العلم ، وقالوا لا تساعدوا على العلم ولا تنشطوا للحكمة ، وهددوا واوعدوا لئلا يفطن اخوانهم فى الانسانية فيحرموهم من موارد الرزق الاتية اليهم من تعبهم : وعرق جبينهم الا ان الانسان اليوم لفى ضلال مبين : تأمل كيف كانت الحصاة اذ عثرت عليها مذكرة للنقود المرغوب فى استخراجها وكيف اكب قوم عليها وقارناها بالتراب والثروة وتمجيد الناس للنقدين : وكيف عكفوا على القمار والكيمياء القديمة والكنوز المدفونة وكيف كان كثير ممن حازوا النقد لم يفيدوا الناس شيئا ولكن الفائدة الحقه فى خيرات الارض والصناعة : وكيف انتقلوا الى ظلم الحيوان فالانسان فاذل بعضهم بعضا فعاشوا فى نار السعير وحياة الشقاء ومن فروع هذه المسالة الربا فلعمرك لا نجاح ولا فلاح الا بترك الربا انما الربا ربح بلا منفعة للنوع الانسانى لا خير الا فيما انبتت الارض او انتجت الصناعة وسوف يفهم الانسان هذه الحقائق بعد حين

---

# ٧٢

## ﴿ حمار يا كل كلأ وعشبا ﴾

هذه قاعدة درج عليها الامم المعلقة التى لا هى شرقية نائمة ولا غربية يقظة ترى ابناءهم ينامون على الارائك متكئين اذا اوتوا ثروة أو ورثوا مالا يقول احدهم مالى وللعلم : الا انما العلم نتيجته ملاذ الشهوتين البطن والفرج فاذا وصلت اليها من الميراث فمالى

وللعلم واما الفقير فانما يسعى لتحصيله كى ينال قوتا وملبسا فاذا حصل عليها ضرب بالعلم عرض الحائط ، مثل الفريقين كالاعمى والاصم أو كمثل حمار يا كل كلأ على جسور الانهار ، ذلك مثل القوم الجاهلين كلاهما يسعى لما يسعى له الحمار ، كلاهما لا يدرى ما الجمال وما النور وما العرفان : كلاهما ساه لاه مدبر يعيش ويموت وهو اخو الحمار وصنو البعران : فيا قومى ويا ابناء بلادى ان فى السماء لعبرا وان فى الارض لجمالا وبهجة وان فى هذا العالم لحكما على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

# ٧٣

( ١٤ ديسمبر سنة ١٩٠٩ )

(حسد الحاسدين ودواؤه)

(١) اليك اللهم اشكو جور الحساد وغيظهم : يقولون اذا خلوا مع الموظفين من أمة الانجليز ان هذا الا متعصب للدين فاذا تركتموه وشأنه اثار الثائرات وشن الغارات : ويقولون للموظفين المصريين الا انما هو خارج مؤول فى الدين : واذا لقوا فريقا آخر قالوا انه خلط العلم مع الدين ومزجهما خبط ضائع : اللهم انى ساعمل بما قلت لنبيك صلى الله عليه وسلم فاصدع بما تؤمر : واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون : ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وسأديم السجود والصدق والاخلاص حتى الموت : وان لنا فى رسول الله أسوة

حسنة اذ عصمة الله تعالى فقال ( والله يعصمك من الناس )

٢ ـ أرى السماء الليلة غشاها السحاب فهى معتمه قد حجبت عنى النجوم الباهرة : ولطالما لمحتها وهى فى العين صغيرة . وفى النفس كبيرة . وذكرت جمالها و بهجتها وما فيها من نظامات وحركات . وما عليها من عوالم . وما اوعت من حكم . فاستصغرت الارض وما حوت . والدنيا وماوعت . وأرى هذه الحياة عرضا زائلا . وجهلا بينا . واذكر قوله (قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير) فها انا انظر فلا اشاهد الا سحابا مظلما قد البست السماء اكسية على اديمها دكنا وحواشيها بيض . أفليس القلوب كالسماء والجمال فيها كالنجوم . والسحاب كالهموم . او الدنيا كالسماء . والنجوم كالحق والسحاب كالظلم . فاما السحاب فما اسرع انقشاعه كالهم والظلم . ويبقى الحق والجمال للناظرين ويعجبنى ما ذكر فى حكم مدونه فى مذهب ( راجايوقا ) ان نهاية الارواح الفاضله السعاده وما نقله عن مذهب زرادشت ان بعد هذا الشقاء لها سعاده وأن الى ربك المنتهى

## ٧٤

(١٦ ديسمبر سنة ١٩٠٩)

بلغنى ان ربات دلال وجمال وهن ابكار اتراب

تجلس احداهن الى جانب رجل وهى ترمى بساحر طرفها ، وجارح لحظها ، سهاما نافذات لتوقع فى شراكها من حولها من الاعيان ، حتى اذا خلبت عقل أحدهم وسلبت لب آخر اخذت تومى بطرفها وبنانها ان سآئى اليك على عجل وقد ظهر المسكين انها قد فضلته على سواه ، وعطفت عليه ومالت بقلبها وروحها ، أو كان خلبها بجمالها ودهائه ، وكان لا يشاهد انها أومأت لسواه وهى فى قبضة آخر هكذا حسرت الامة رجالها وعقولهم ، فضلوا وهلكوا أجمعين

الناس فى الدنيا سائحون : فاشرفهم واعلمهم بما يرى فى تجواله واصبرهم على اقتحام المصاعب ومصادمة المخاطر والاهوال

أرأيت لو سالك سائل وانت ذو عقل فى عالم غير هذا : وقال لك هل رأيت ما ذرأه الله فى العالم من الجمال والاحكام والبهاء فى الارض ان فيها من الجمال ما يحير العقول ويدهش الافهام : فيها زرع وشجر ذات نظام بديع وانهار وجبال وسماء وكواكب بديعة منظمة الحركات . ( وان تعدوا نعمه الله لاتحصوها ) ثم انك وانت فيها سائح ستعثر منك عقبات : وتصادف مخاطر ومضايق : ومصائب وحب وبغض : وحرث ونسل وشهوات وغضب واعداء : وامم ودول : وموت واصدقاء . وجروح وقتال وحرب وكل ضد من الاضداد : كالحر والبرد : والصيف والشتاء : وما شاكل ذلك أو قاربه كالشيب والشباب : وستبتلى فى سياحتك بما لا قيل لك به اذا قيل لك هذا فلا جرم تكون الاجابه من ذى نفس تواقه للحكمه

## - ٧٥ -

( ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٠٩ )

حديقة الحيوانات

فيها الاساد محبوسه فى اقفاصها . وهى تزأر فظننت اذ رأيت الظباء والطيور الجميلة الالوان ، ان اكلة اللحوم اقوى واجرأ ، وذوات الحشائش والحبوب اجمل وابهى ، واستنتجت ان الجمال الطبيعى ، انما يكسو جسوم الفلاحين الذين لا ياكلون اللحوم الا قليلا ، فذكرت قول احد الفرنسيين من اراد الجمال فلينطلق الى ضفاف النيل ، فهناك الصور الحسان التى فقد نظيرها من اوروبا فلا يجد المصور ما يجعله نموذجا لصوره ونبراسا يهتدى به فى العالمين

## - ٧٦ -

فى شارع الترام بجوار درب الجماميز ، وجدت رجلا مغربيا امامه رمل ، وفى يده كتاب ليصطاد بعض العاجزين الجاهلين فشبهته بالعنكبوت تقتنص الذباب ، فالرجل العنكبوت ، والرمل والكتاب شبكة ، والجهلاء الذباب ، فاذا مرجاهل به اوقعه فى قفصه ، كما اذا مرت ذبابه بالشبكة امسكت بها فالتقطها العنكبوت ، كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون

الدنيا والسعادة فيها ، جواد لا عنان ، انطلق فى عدوه فاتبعه الناس واستبقوا على مقدار قواهم ، فانقطع الضعيف وسبق القوى وديس العاجز تحت الارجل فمات وطا وتكسيرا ، وسبق الجواد فادركه القادرون وهو يعدو ولا ممسك له ، فلا هو واقف ولا المسرعون خلفه بمنتهين

---

## -٧٧-

(٣٠ دبسمبر سنة ١٩٠٩)

يا رب ما ادرى كيف ضل هذا الانسان وغفل عن اجمل النعم وابهاها وانفعها واجلها ، جلست اليوم فى منزل فيه حديقة غناء والنسيم تهب ، فقلت لصاحبها وانا احاوره ، ايهما اغلى وابهج للقلوب ، اقبضه من النسمات ، ام اكبر جوهرة نفيسه فى العالم ؟ فقال بل الجوهره ، فلربما بلغ ثمنها آلاف مؤلفة من الجنيهات فقلت يا للعجب ؟ جوهرة لا تقدى ، ولا تلبس ، ولا تقي حر ولا برد ، يموت الانسان اذا سرقت ، وهو غافل عن النعيم المقيم ، وما به الحياة كالنسيم والماء ، الا ان الانسان لظلوم كفار ، . ثم أودعت خطابا فى مستودع البريد مرسلا الى اليابان ففكرت كيف يصل هذا فرأيت اتحاد الامم على العمل ، فسيمر بالاراضى المصرية تحملها السفن الاروبية ويتجه فى عرض البحر حتى يصل اليابان ، وقد تضافرت الدول على حمايته فى السفن وحفظه من الضياع والتلف وإيصاله لمن ارسلت له ، أليست الامم جمعاء خدمت خطابى هذا؟! كم من خطاب فى السفينة السائره ، وكم من عالم بالبحار قام بتسيير

السفن فى البحر الملح وكم من خادم يقوم بالعمل فيها ، وكم من طرق بحرية خطتها الدول وحفظتها رجالها ، وكم علوم هندسية درسوها فى مدارسهم ومهدوا طرق البحار على سننها ! أفليس يجب علينا حب جميع الناس ويا ليت شعرى كيف يتباغضون وهم فى الحاجة لبعضهم ! متساوون أم كيف يدعون الغنى والاحزاب جميعا فى الحاجة مشتركون !!

## - ٧٨ -

قال لى تلميذ سنه عشر سنين ان الأمة اذا كانت جاهلة مثلها كمثل حبة القمح التى زرعتها فى الاناء بمنزلنا ووضعتها اسفل الطين لم تنبت ، فلما أن وضعتها قرب وجهة الطين واشرقت عليها الشمس نبتت فهكذا الأمة اذا بعدت عن شمس الحكمة فى ظلمات الجهل ودفنت فى غيابة طين الطبيعة الفطرية الحيوانيه ، فانها تكون فى قبضة غيرها ، فاما اذا قربت من انوار الحكمة والعلم تنبت نباتا حسنا

## - ٧٩ -

### ﴿ نصيحة ﴾

أليس من العجيب ان تذكرى ما مضى من ازدراء الشهوات واقتناص العلم والحكمة فى زمن الشبيبة ، يبعث فى اليوم نشاطا ويملأنى سروراً تمر بى ذكرى تلك الاوقات ، وانا فى الخلوات فاحس بسرور فى فؤادى وانشراح فى صدرى ، وأرى ان ذلك

اجل النعم وأغلاها ، ان ذكرى العفة والشقاء فى طلب الحكمة والعلم يسعدنى اليوم ، وهو النور الذى يسعى بين يدى ، أرانى به فى هناء وراحة الا لاسعاده الا ما كان فى رؤس العلماء ، وعقول السعداء ، ولا سعادة فى المادة وانما هى فى العقول والنفوس

— ٨٠ —

( ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٩ )

رأيت امرأة شمطاء عجوزاً قد ركبت معى فى عربة ( سوارس ) فلما رأتنى جالسا صامتا سألتنى لم لم تجلس فى صفى انا وصاحبتى ( وكان معها امرأة اخرى ) فقلت ان مكانكما لا يسع الاجسمكما، فظنت المرأة انى اهزأ بغلظ جسمها ، فجاشت وهدرت شقشقتها واناخت علىّ بكلكلها ، فسلط الله عليها سائق العربة فسلقها بلسانه الحديدى ، ولا يفل الحديد الا الحديد ، فذكرت اذ ذاك قول علماء الاخلاق ، لا ينبغى الكلام مع الطبقة السافله والواجب الترفع عنهم ، ولن ينجع فيهم الا الغلظه ، وأيقنت ان للحق انصاراً ،وان للفضيلة اعوانا واخوانا ، وعلمت اذ ذاك كيف بردت المرأة وسكن ثائرها ، اذ اعرضت عنها بوجهى واخذت اكلم رجلا آخر كان بجانبى وقد ادرت وجهى ناحيته حتى اذا دار بيننا الحديث وتجاذبنا اطرافه ، علمت خطأها ، واخذت تقترب من المتحادثين ، ولا مصغى لقولها بل تركت فى زوايا النسيان ، وهكذا شأن الساقطين من نوع الانسان والسفلة الجهلة الاوغاد ،

## - ٨١ -

(٢ يناير سنة ١٩١٠)

سئلت عن الهواء الجوى والشمسى ، فقيل لم تكون الشمس والقمر احمرين عند الشروق والغروب ؟ فقلت و بيضاوين عند سمت الرأس ، فقلت لان الهواء المحيط بالارض الممتد من مكاننا الى نهاية الكرة الارضية وهو الممتد على نصف القطر ينضم اليه هواء الكرة الهوائيه فيحول بيننا و بين الكوكبين عند الشروق والغروب ، أما فى وقت الظهيرة وعند سمت الرأس فان الهواء المحيط فقط هو الحاجز وهو قليل ، وعليه فالحمره عند الشروق والغروب لسبب حيلولة جرم شفاف وهو الهواء ، ولما ان أمسى المساء شاهدت نوراً كهربائيا فى زجاجة فيها اسلاك ، الاسلاك بيض من الضوء وان نظر لها من جانب الزجاجة شوهدت حمراء لحيلولة الزجاجة وهى شفافه فايقنت لصدق النظرية وبهذه يعلل كبرها اذ ذاك ، لان الجسم الشفاف كالهواء والماء يكبر ماخلفه ، تأمل فى الزجاجة كيف ولت بما فيها من السلك على الشمس والهواء وكيفيتهما ، أليس هذا كاستدلال الانسان بالارواح على الله تعالى نستنتج الكبار من الصغار وكذلك يقولون للعالم مدبر كما للجسم روح و بالجملة فالصغائر تشبهها كبار الامور



## — ٨٢ —

( ٩ يناير سنة ١٩١٠ )

ضوء الشمس من تحت السحاب

انطلقت صباح يوم الى المدرسة اذا السماء ترسل على الارض مدرارا ، والسحاب كساها حلة فضية بيضاء تسر الناظرين قد حجبت ضياء الشمس عن الارض ، وقد نفذت من خلالها اضواء شمسية اكسبت الارض نوراً وجللتها نضرة وصفاء و بريقا و بهجة للناظرين ، فلما ابصرت ذلك النور الفيت الجمال باهراً فى الافاق وقلت أى الانوار ما أرى انه ليس كنور القمر فانه اضوء منه ، ولا نور الشمس اذا اصحت السماء ، الا انما مثله كمثل ضوء الصباح يتخلل الهواء آتيا من تحت الافق ، أليس من العجب ان تكون للشمس اضواء تختلف اقدارها لاختلاف احوالها ؟ فتارة اضواء واضحة فى الصحو ، واخرى من وراء السحاب ، ونور آخر منعكس على القمر منطرح على الارض ، وآخر بعد انفلاق الصبح وضوء اصفر اذا تخللت الاضواء طبقات الهواء صباحا ومساء ، فلها فى الافق حكم وفوق الرؤوس حال ومن وراء السحاب آخر وعلى وجه القمر غير الجميع فتبارك الله احسن الخالقين ، الشمس اذا اشرقت على الارض مخترقة السحاب اشبه شئ بذى الفضل من الرجال ، فانه وان آذاه الحاسدون ، ونفر عنه الجاهلون ، فلا بد من انبلاج ضوء صبحه ، واشراق شمسه من وراء الحجاب ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب ، الرجل الفاضل كالشمس ، اذا مات انبثق النور

من قبره ، وانبعث من مرقده ، كما يسطع نور الشمس فى الافاق بعد غروبها ، ويظهر على وجه القمر فيكسو وجه الارض نورا مشرقا وهو فى حياته باهر النور ، يعم ما تصل اليه يد استطاعته ، وان ذمه الحاسدون وافترى عليه الكاذبون ، وغفل عن ذكره الغافلون وان اعتزل فى كسر بيت وحرم الافاق من اشراق نوره فحكمه يبدو سناها للزائرين ، وانوار فجر اشراقه تسير سير الفجر فى العالمين

## - ٨٣ -

(١٣ يناير سنة ١٩٩٠)

ذكرى يوما فى بلاد الفلاحين . ها أنا اليوم تعاودنى ذكرى ايام سلفت ، وسنين انقضت ، اذكر العفة والصبر على المشاق فاجد سرورا و بهجة ،هذه هى السعادات النفيسه ، اذكر انى مرة خرجت من منزلنا بقريتنا للجامع الازهر ، وكان جماعة سائرون الى مولد الشيخ ابى مسلم ، فيهم نساء ورجال وشبان عليهم الملابس الريفيه من الجلاليب البيض والاكسية السود والاردية الحمر والعمائم والعصب البهجة والحبر المضمخة بالعبير والبراقع المكللة بالذهب المنظومة بالمرجان والاطواق الفضية ، والاساور الملوية ، والنسوان فى هوادجهن يغنين فرحات ، مستبشرات ، وترى الشبان ماسكين هراواتهم ( النبابيت ) واضعيها على عواتقهم جذلين بما شنف آذانهم من غناء الفتيات ، واطراب الغنيات ، والنسيم تلعب بالاعطاف والقدود وتملأ الجلابيب وتنفخها كانها قرب الريفه ، أو شراع السفن المصريه ، والابل تمد اعناقها جذلاوهى تسير عنقا والاشجار

من الجانبين تترنح ذات اليمين وذات الشمال وهم جميعا فى حبور وسرور ، كان ذلك وهم سائرون فى طريق سكة الحديد ، وكنت سائرا حذاءهم فى الطريق الجانبي هم فرحون وانا فرح وكان يخيل الىّ انهم لى يغنون ، و بسفرى فرحون ، وأقول انهم ذاهبون ، الى مذهب فيه يرتعون ، ومجهلهم فيه يلعبون ، واذا رجعوا فى يومين فانهم واجمون ، فيبطل غناؤهم ، ويزول فرحهم ، أما انا فطلبي عظيم ، وسعدى نعيم مقيم ، فهكذا كانت وجدانى وفرحى وسرورى أو كانما مسراتهم نور شمس اخترق الهواء ، فلم يسطع على صفحاته ولم يتلألأ فى طبقاته ، وانما ظهر اشراقه ، وبهر نوره وابراقه ، اذ تجلى على الارض فكان بهجة للناظرين ، وسرور للعالمين ،

## — ٨٤ —

(١٨ يناير سنة ١٩١٠)

مسألتان الاولى كنت أرى وانا فى قريتنا ببلاد الريف الرجال ذوى الوقار منهم يملأون القلب مهابة ووقارا ، فاذا حدثنى احدهم ظننت ان ما نطق به حكمة ، واذا رأيت رجلا اطول منى باعا واقوى جسما واصح بدنا وأحرث للارض واسرع للحقل ، خلته ملكا عظيما ، وسيداً كبيراً ، فلما ان انطلقت الى الازهر رأيت الوقار اعظم ، والهيئة اكثر ورأيت رجالا آيات فى العلم قد انزلت عليهم الايات البينات فاذا سألت عن عظائم الامور مالا يقرأ فيه اجانبى العالم بهيئة تنبئنى عن سعة الاطلاع ، وطول الباع ، طالما سبق الى ذهنى ان وراء علم القدم علما حتى اذا اطلعت على مالم يحويه

الازهر من علوم الاوائل والاواخر ، رأيت بحوراً زاخره ، وعقولا وافره ، وشجعانا بجيوش العلم ظافره ، ثم حدقت ببصرى خلف ستارهم ، ونظرت وراء حجراتهم ، وفكرت فيما وراءهم ، فرجع الى الطرف خاسئا وهو حسير ، وأيقنت ان حكماء الانسان فى الارض مثلهم كمثل شيوخ الفلاحين ذوى الوقار فى نظر الحكماء بل الانسان جاهلة وعالمه كدود فى بطن بقرة لها نظام ، وقانون وعلم ، والبقره لا علم لها بها الا كما تعلم الفضلات وتحقرها ، فاذا هنالك حكمة الحكماء ، وعلم العلماء ، وسياسة الملوك ونظام الدول ، فالق بنظرك الى عالم السموات وما حوت من نظام بديع فان فى اقطارها من الكواكب ما يزيد عن ارضنا آلاف الملايين ، فلو ان لديهم نظاما وعلما فليسوا ينظرون لنا الا كما ننظر نحن الى النمل بل الى الصعو ( المكروبات ) والديدان وادق الحيوان ، فتامل وتعجب على قدر سعة العلم الصحيح تكون الحرية . سيحوا فى الارض ولا تقطنوا مكانا واحدا فو الذى اوسع السموات والارض ، لئن عزمتم بسكنى لاوطان ولزمتم الحيطان لتسامن سوء العذاب ولتجد به انفسكم يوم الذلة قانتين ، وللظلم خاضعين وعن الفلاح مبعدين فلا تعرفون الا دياركم ولتسائن كالانعام الرايضه ولتسألن يومئذ عن النعيم ، فسافروا لتعرفوا البلاد فيسهل عليكم ان تدخلوا اليها اذا مسكم الضر ولا تقعدوا على لذة واحده لذة الحيوانيه ، أو القوة العصبيه ، بل سارعوا الى لذات العلماء ، وحكمة الحكماء ، فو الذى سير النسمات ، وعلم ما مضى وما هو آت ، للذى يكون اغزر علما ، وأدق فهما ، واوسع حلما ، سيلتجيء اليها اذا خانته قواه الجسمية واعرض عنه الشباب وولى وما شمر ولعمرى ما مثل المغرمين بالاوطان ، الا كمثل المغرمين

بلذات الاجسام ، وما مثل أولئك الذين يضربون فى الارض ، الا كمثل من جاوز اللذات الجثمانيه ، وضرب بسهم فى اللذات العقليه ، وما مثل الاولين الا كمن اخلد الى الارض واتبع هواه ، وما مثل الآخرين الا كمثل آمن بالله ونال هداه

اليوم سمعت قراءة القرآن والقارىء ذو صوت رخيم ، وترتيل جميل ، فاخذت اذن الامرين ، وافرق بين الحالين ، وافكر فى الصوتين ، واقول ان القرآن هو القرآن حسن الصوت ، أو قبح جمل الترتيل ، أو سمج فياليت شعرى كيف يؤثر فى النفوس فى احدى الحالين ويمر مر النسيم على الضفاة ، والماء على الصخرات ، والجاهل على العبرات ، والحكيم على الشهوات ، فلم يحدث فى النفوس اثرا ولا فى العقول ذكرا ، ولا فرحا ، فاذا قرأ القارىء ذو الصوت الرخيم ( ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما فيهم ما كانوا يحذرون ) بعد ان قرأها من لم يساعده صوته ولم يؤيده نفحه فكيف يكون الفرق بين الامرين ؟ ، وما الحكم على القارئين ؟ ، وكيف يعرض القلب ويتولى فى احداها ويخر على الاذقان سجدا فى الاخرى ؟ ان هذا لعجب عجيب ! ترى القلب عند سماع الآية فى افضل الحالين

يطوف ساحات الخيال ، وباحات المعانى ، ويجول فى اودية الحكمة ، ويغوص على درر المعانى فى بحورها ومرجان العلم من منابتها ، ويخرج معادنها الغالية من ظلماتها ، ومعادنها ، فيحضر لديه الامم الخالية ، والاجيال البالية ، وقدماء المصريين ، والاشوريين والبابليين ، والروم والفرس ، ويعطف عليهم الامم الحاضرة فيحشر

الاولين والاخرين فى صعيد خياله الواسع ويلقي عليهم حكما لا شية فيه ولا شطط ، يقول لقد حكمت ملوكهم فظلمت ، واستبدت بالرعايا فشطت ، فها هو قد آن الاوان واستدار الزمان ، وحكمنا الرعايا فى دولهم ، والضعفاء فى ملوكهم ، والفقراء فى اغنيائهم ، فجعلنا السادة عبيدا ، والعظماء جنودا ، وسلطنا حامل الفأس وسائق الجمل ولابس الثوب الازرق وراقع الحذاء وصانع البناء وحافر الانهار وطاوى الابار على ذوى الارائك والقصور الشاهقة والضياع والمتاع والكبرا والعظماء وذوى التيجان والصولجان ، ليعلم اولئك المتكبرون الغافلون والظالمون فى الارض بغير حق ، وهم يجهلون انا قلبنا لهم ظهر المجن وسلطنا عليهم الاحق وتطأطأت رؤسهم ، وانحنت لاحكام الرعايا فاريناهم من آياتنا عجبا ، وعكسنا عليهم القضية واضعنا منهم الامنية انها لامنية مخدوع ورب الكعبة كانوا يحذرون ان الرعايا يتعلموا حقوقهم ويطالبوا بالانصاف : ويرتعوا الاجحاف كانوا يمنعون العلم ان يتسع فى عقولهم : والحكمة ان تلامس قلوبهم فتسمو نفوسهم الى الانتصاف فينزلونهم عن عظمتهم : ويحطونهم عن كرامتهم : فقالوا للرعايا لنا الامر وعليكم السمع والطاعة ، انما انتم العبيد ونحن الساده : وانتم الخدم والحشم : ونحن الامراء والعظماء فان نعق منكم ناعق اجلبنا عليه بخيلنا ورجلنا وشاركناه فى لاموال بالانتهاب : والاولاد بالاستبداد : واحطناه بسور من الاجناد وارسلنا عليه مشوظا من نار وحديدا وعذابا شديدا : فها هى حقت كلمتنا على الظالمين : وانصفنا منهم المظلومين : من بعد الف سنة مما تعدون وستقوم الامم جميعا قومة واحدة وتشرق الارض بنور ربها ويطأطىء الظالمون رؤسهم امام المظلومين : وينزل الجبار صواعق

غضبه و بوازق ناره على من ظلم و يهمى وابل غيث رحمته على الضعفاء في سائر الامم من جميع الممالك شرقا وغربا تلك ارادة الله ولا راد لقضاه ، هذا ما يختلج فى القلب اذا سمعنا هـذه الآية من صوت رخيم ولا يلج فى الفؤاد والج من المعنى ، ولا يطوف طائف من الحكمة ، اذا استبدل لنا الذى هو خير بالذى هو أدنى من الصوت ، فياليت شعرى ما السر فى هذا ، و بينما انا اجيل النظر فى هذا المعنى اذ لمحت من خلال الاستار نوراً أشرق من شمس الحكمة الوضاءه على مرآة العقول البشرية النقيه ، وقرأت فى لألائها سطورا تمر كل يوم والناس لا يشعرون ، وتظهر ولكن اكثر الناس لا يفقهون

## — ٨٥ —

ألا ان الانسان مسوق بوجدانه لا بعقله و برهانه

طالما بحثت عن سير الناس فى أطوارهم واحوالهم ، فرأيتهم جميعا مقودين بازمة الرغبة الجـاذبة لنفوسهم ، المؤثرة على عواطفهم ، والبراهين قلما تفيد ومالها من اثر الا فى الحقائق العلمية اما فى الاعمال البشرية فلن يعمل بها الا الاقلون ، فالقـارىء ذو الصوت الرخيم تتخذ الحكم الوارده من لسانه حجة صقلها الصوت وجندرها الترتيل والشاعر والناثر المخلان لقولهما يدخـل فى الاذان بلا استئذان ، والرجل الذى يتخلل حديثه مفاكهات ادبية ، ودرر شعريه ، تصبو له العقول ، وتهواه النفوس ، ويقبل على قوله ، ويعمل كثيرا برأيه ، والمرأة الجميلة تستهوى عقل عاشقها وتكون سائقة لقائدهـا والرجل الحسن الصورة ، مقضى الحاجة ، محبوب الطلعه ، وترى

الاطباء يحتالون فى تنويم المريض يسهل عليهم التأثير عليه فتنجع دواؤهم ، ويشفى مرضهم ، ولذلك ورد فى الشريعه الغراء استحباب الدعاء في السفر لاستعداد القلب اذ ذاك للانفعال بالدعاء ، فيكون اقرب للقبول ، وادعى للمأمول ، وندبت صلاة الليل لفراغ القلب من الاشغال وضعف الحواس فيكون اصغى واقبل فيقبل اثر ما لغط من القول ، وما يبرز من الفعل ، فيحلو للنفوس فى ظلمات الليل الابتهاج وانتهاج خطة العبادة وترى المصلحين الصائمين الحاجين ، ببصيرة وسريرة خالصه أقرب لفهم النصيحه وابعد عن الكبرياء والعظمه الصادين عن الحكمة المانعين من الفضيلة ، وكثيرا ما نسمع ان ذوي المذاهب والاراء يعمدون الى الموسيقى والى البكاء والتاثر اخرى ، فيبهم الناس وهم لا يشعرون بالبرهان وما ساقهم الا الوجدان ، وحكى ان بعض الملوك العباسيين طلب من بعض مشايخ الحنفيه دليلا من كتاب الله ، على ان الحر لا يقتل بالعبد فقال انى سمعت غلاما على شاطىء دجلة يترنم بهذه الابيات ،

خذوا بدمى هذا الغزال فانه رمانى بسهم مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه اننى انا عبده ولم أر حرا قط يقتل بالعبد

فقال كفانى هذا برهانا ومم يطلب دليلا من الكتاب جالبنه لوقوع أو تاثر فى قلبه موقعا عظيما ، ومما سحر العقول مناظر هذه العوالم المشاهده ، ذات البهاء والجمال فانها اذا اشرق نورها ، وبهر جمالها ، واشرقت على النفوس العليمه ، اكسبتها جمالا وحلية ورفعتها الى العلياء وكم من قارىء للحكمة ، ساهر فيها ليلة ، مجد فيها نهاره وهو غير مسترق البصيرة فاذا نظر العالم المشاهد بنفسه وتامل جماله ، وكان ذا بصيرة سحره ذلك البهاء والجمال فقاده الوجدان ، وعصاه

البرهان ، ولذلك لم يكد يصلح نوع الانسان من الفلاسفة الكبراء الا الحكماء الناظرون فى الاكوان . وليس لغيرهم فى الاثار عند الناس من نصيب فصدق قولنا وصح يقيننا ( الا انما الانسان يسوقه وجدانه لا عقله و برهانه )

---

## -٨٦-

( ٣١ يناير سنة ١٩١٠ )

فى هذا اليوم قابلت عثمان افندى رأفت مدير مدرسة سنغافوره وكانت المقابله مصادفه : واسمعنى من ناحية ملوك المسلمين فى الهند والصين و بلاد اخرى : ما عجبت له وقد سرنى انه يعلم ابناء الملوك والامراء . وزادنى سرورا ان ما اكتبه فى مصر منتشر لديهم فى تلك الاقطار . شائع فى تلك الامصار : فحمدت الله جل جلاله : الليله اوقد المصباح وهو ذو مفاتيح ثلاثه مفتاح لايقاده : ومفتاح لرفع المشكاه وانزالها : فمفتاح الايقاد يرفع الزجاجة فتظهر المشكاة فتوقد . واما مفتاح الاطفاء : فانه يرفع صفيحة تمنع الهواء فينطفى النور : واما التى ترفع المشكاة وتخفظها : فامرها معلوم معتاد هذا مثل ضرب للناس ليفقهوا سر الحياة : ان النور ضوء نشا من اتحاد اكسوجين الهواء بمادة الايقاد : النور كامن فى المادتين : ليس يخرجه الا اتحادهما : ولا يظهره الا التقاؤهما : وله حياة وموت : وصحة ومرض : كحال الانسان والحيوان والنبات : نور المصباح انما اعد ليضيء لنا فى الظلمات اذا لم تضيء الشمس . فاما اذا اضاءت فلا

حاجة للمصابيح . ولما كانت الحياة الحيوانيه اشبه بالظلمه . والحياة الروحيه اشبه بالنور . كانت حياتنا مبدءه ومختومه . وذات صحة ومرض : كما يعرض المصباح فكما ان المصباح يحيي ويموت : ويضعف ويقوى . وله مفاتيح تفعل ذلك كله اوهو انما هو يضيء فى الظلام عند فقد نورالشمس . هكذا كانت حياتنا فى عالم الاجسام لها بدؤ وختام ومرض وصحة . بمفاتيح لا نملكها . ومقادير لا نعلمها فاذا اراد الله عز وجل بامة خيرا . ارسل لها ارواحا عاليه فاضاءتها ثم قبضها اليه : واذا اراد خفضها سلط عليها الانفس الضعيفه صغيرة الهمة فاما ثقتها فاصبحت فى الآخرين احلا وكما ان فوق المصباح نورا اعلى وهو نور الشمس . فهكذا فوق انوار العقول فقوى اخرى ارقى منها واسعد واعلى وهى نفوس الانبياء والحكماء نظرها للعموم وهمتها منصرفة للنوع الانسانى : ان النفوس الصغيرة أشبه شيء بضوء المصباح ينور سريعا : ويفور سريعا . فاذا ذهبت ايامه وانقضت اعوامه كان كانه لم يكن . أما النفوس العاليه : والارواح الشريفة الفاضله : فان آراءها للعموم واسعادها موجه لنوع الانسان : فان نظروا فى الامور اعتبروها من الوجهة العامة : أو فى اصلاح الانسان بذلوا همتهم للمجموع : الا ان فرق بين الشمس والسراج : كما بين رجال الامم العظام والاحاد : جالس الرجل وكلمه فان رأيت همته الى العموم لتصرفه . فاعلم انه كالشمس . وان رأيتها الى الوظائف والمراتب والامور الجنسية . والشهوات الدنيئة . فاعلم انما هو سراج ينطفى وينقص : ولرب رجل خير من الف رجل . بل آلاف . الشمس تضيء والمصباح يضيء ولكن احدهما للخصوص . والآخر للعموم

ان لنا بعد هذه الحياة حياة ، و بعد الاولى آخره كما أن لنا بعد السراج نور الشمس والقمر والكواكب ، فكل ناقص فله حلة كمال فاذا ابصر المصباح انسان لم ير الدنيا ، ثم ابصر كوكبا بدا لخيالة حال أخرى يرى فيها مصباحا يشرق على العالمين دفعة واحدة : فيظن ذلك الخيال محالا ، فاذا ابصرت الشمس ظهر الخيال عيانا ، والمعقول بيانا ، فلكل صغير كبير من نوعه ، هكذا حياتنا الدنيوية لها حال أوسع منها فناء واطول امدا ، نتخيلها ولكننا فيما بعد نراها كما نرى الشمس فيصبح مثل السراج والشمس وانطبق على العالم والجاهل فى الدنيا وحال الرجل فى الدنيا والآخرة ، اذن فاقرأ قوله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربيه يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله بنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم .

---

## — ٨٧ —

(ليلة ٢ فبراير سنة ١٩١٠)

آنست الليلة نورا مضيئا فى أبنية الازبكيه ، ورأيت حروفا كبيرة على بناء مرتفع ، وبجانبها شبه دائرة مرصعة بصور جميلة ، كأنها قطع ناقص أو بيضة مكبرة ، والنور ينقبض ، و ينبسط

ويحمر تارة ، ويصفر اخرى ، وآونة أراه مرقشا منقشا بلمظ (جمع لمظة) بيض وخضر باهته ، ثم تزيد قليلا قليلا ، ثم يتم جلاؤها ويظهر بهاؤها ثم يخضر خضرة ناضرة زبرجديه ، وترى على الدائرة طيف خيال ، كالظل عليها باستدارة لا يفتأ دائرا ، ولا ينفك متحيرا ، وهو يغشى اجزاء الدائرة جزءا فجزءا ، منظر بهيج جميل ، وهيئة باهرة وسحر جاذب ونور مبين ، واشكال بديعه ، ومناظر غريبه ، وبدائع تأخذ بالالباب وتكاد تذهب بالابصار ، عجائب تسرق النفوس وغرائب تختطف الارواح وتسبي العقول وتحير الخيال

ان للخيال لحركة سريعة فهو عاشق لما اسرع فى حركته من جمال الالوان ونغمات الاصوات هكذا كان طبع الخيال ، وهذا شانه عند الانسان ، تأملت ذلك المنظر ولكنه لم ياخذ بلبي ولم يستحوذ على شعوري ، بل كنت أراه كما يرى العفيف وجه البغي الحسناء ، الا ان لهذا مثلا فى الاشجار ان فيها من جمال الازهار ما يبهر ، فمنه احمر قان ، واصفر فاقع ، وازرق زاهر ، وأبيض ناصع فى الشجر جمال وبهاء ، وزهور ناعمات ، كانهن الثياب العبقريات انه جعل فتنة للحشرات ، مجلبة للنحل الطائفات ، فاذا كان الجمال فى الازهار لجذب الحشرات ، ليلقح ذكرانها الاناث ، وتستخرج الثمرات والفواكه والخضر ، فان تلون اسم التاجر بنور الكهرباء ، وتقلبه كما تتقلب الحرباء ، واتصافه باوصاف الجمال الباهر للابصار مجلبة للشارين ، ومصيدة للمثرين ، ومجذبة لحشرات الغادين والرائحين ، يطوفون حول حانوته ، ويدورون على بضاعته ويشترون الثياب ويذرون الدراهم تذهب الى بلد تستثمر ما حازوه ، وتنتج ثمار المال مما تقلوه ، تشابه الانسان والنبات ، التاجر كالنبات والشارون

السائرون على نور الكهرباء كالحشرات فاذا وردوا الحوانيت حملوا منها الامتعة والثياب كما تحمل النحلة مصة من العسل ويذرون الدراهم والدنانير فيكون لهم غنى ولدولهم عزا ، ولابنائهم ذخرا ، ولتجاراتهم ربحا ، ولبلادهم مغنما كما باع الزهر عسله وتقدفيه ان القح الذكران الاناث فجاءت الثمرات وكثرت الحاصلات ، ونمت الغلات،ان للجمال سلطانا على القلوب ولكن اذا أتبعته رذيلة سقط من العيون ، وصار فى رتبة الدون ، هكذا ذلك الجمال الظاهر الذى يشف عن نهب الاموال ، والضحك على الجهال كنت اقرؤه وكانى نظرت سطرا من النور مضمونه ( انى اشتف ما بقى من اموالكم واستاصل ما بأيديكم حتى لا ابقى ولا أذر ) وكانما طيف الخيال الدائر على تلك الدائرة المضيئه : سفنجه تمتص ما لدينا من ماءالحياة حتى تصير ارضنا صعيدا زلقا ، هكذا هجس فى روعى اذ رأيت هذا المنظر ، اللهم ارشد قومى لسعدهم ، وارهم اللهم ان الجمال صورة من صور اجتذاب النفوس لطرف المال ، فاذا جعل وسيلة لتحويله الى امم اخرى ، فذلك الدمار والهلاك ، ألا فليحذر الذين يساقون الى تلك الهاوية وهم لا يشعرون وما دام جمال الصنائع الفتان يستنزف ثروة البلاد فسوف يهلك كثير من ذوى الصناعات فتقترب الامة تدريجا من الهلاك نعوذ بالله من غضبه ونزح اموالنا الى غير ارضنا ، يا ايها الناس تحابوا

(فصل) . الامم اليوم لا تفتاء كالوحوش الضاريه ، ومن عجب ان الضرر اللاحق بعامل باريس يؤثر فى مصر والعالم اجمع ، فنوع الانسان كرجل واحد واذا اصابت الازمة امة ، والقحط بلدا ، والوباء قرية ، اهتزت سائر الارجاء ، وارتجت لخبره الانحاء ، واذا قلت الثمرات ، وضعفت

الحاصلات ، فى فريق من الناس عم الغلاء ، وطم البلاء ، فالناس اذن جميعا متضامنون ، وشركاء متحابون ، فما لهم يجهلون ، وما بالهم يتحاربون، ايها الناس تواددوا وتحابوا ولا تحملوا السلاح الا اذا رأيتم الناس وحوشا ضارين ، وغورا باظفارهم منشبين ، فلا تذروهم يهجمون ، ولكن تعلموا واعملوا وادفعوا القوة بالقوة فاذا سرتم فى هذه السبيل وقارنكم النصر والنجاح فارأفوا بالناس اجمعين ، ولا يكون السلاح والكراع الا عند الخوف من شر وحوش الانسان

(فصل) شاهدت وانا فى المدارس تلميذا واستاذا ان للمكافآت العلمية بين التلاميذ فضيلة وان للمكافآت العملية فى الوظائف طرقا غير الحق ميزانها مجهول يرفعون ويخفضون وهم لا يفقهون

---

## — ٨٨ —

(ليلة ٥ فبراير سنة ١٩١٠)

كنت فى امس الدابر مع بعض طلاب العلم بمدرسة الحقوق الخديويه فقال قائل منهم ماذا ترى فى امر الحدود بقطع يد السارق أليس هذا يعد من الوحشية ؟ وكيف تقطع يد الانسان ؟ ومن ذا الذى ترضى نفسه ان يرى مسلما مقطوع اليد ؟ ثم ماذا تقول فى تعدد الزوجات ؟ أليس من الوحشية الممقوته !! نبذنا بتا ويل ما سألنا عنه والا فدعنا عاكفين على الضلال مرتبكين فى الاوحال ثم ماذا تقول فى الخمر ؟ وقد شربها الافرنج وكيف حرمنا ما حلله الافرنج ان فيها لمنافع لقوم يشربون ، فقلت ان بعض الامم الشرقية اليوم

انكرت انفسها ، وتقلصت جامعتها ، وشكت فى كفاءتها فاخذت ترمى انفسها بكل ما يقول الغربيون وتذم قومها بما يذمون ، ان للامم القويه منومات تنوم بها الامم الضعيفة كالتنويم المغناطيسى فتبهرها أولا بالمدافع والجيوش والصناعات وتسلبها بعض اموالها وصناعاتها ثم تأخذ فى سلخها من سائر عاداتها تدريجا وتحرص على ان تسلبها الفضائل وتلبسها عليها بالرذائل لتنسلخ عن العادات ، وتخلع لباس الجماعات، والاعمال والنيات ، ولما كان هؤلاء ضعفاء كان قول القوى منوما كأن يقول انما عاداتكم ضلال ، ودياناتكم وبال وعقولكم خبال ، وآراؤكم أوهى من العنكبوت وكل أمة هذا شانها حق لها ان تموت فتصيب هذه الكلمات مواقع الوجدان ، وتصبح عادات الامة واخلاقها فى خبر كان ، فان قالوا فى حد السرقة انه وحشية نقول على رسلكم انه وحشية لانه فى دين من لم يغلبوا ولو غلبنا لكان ذلك قولا لينا لطيفا ، اذ يقال ان الحدود اقصى العقوبات والقرآن ذكرها موافقا للتوراة ، فهو دين سلام وقد خففه ديننا اذ قال صلى الله عليه وسلم ادرءوا الحدود بالشبهات، فارتفع الحد عن المنكر والشريك وبالجملة ليس يكون هذا الحد الا على الاقل النادر فى الحال التى تجوز فيها الامم جمعاء القتل والشنق فجاء فى الاسلام الحد الفاصل بين التعزير الذى يكون برأى القضاة والقانون وبين قتل النفوس الذى اجازته الامم جمعا والحد واجب ليحد الحكام ويمنعهم عن تجاوز قطع اليد عند الاحكام الخاصة، ليس على وجه البسيطة من أمة الا واجازت القتل فى بعض الشؤون وفى احوال عارضة فحددها الشرع فى السرقة بقطع اليد ولو انه خير رجل بين قطع يده وبين الموت لفضل أولهما ، فاما تعدد الزوجات فاعلم ان

تعداد الذكور كتعداد الاناث غالبا في سائر الامم وليست الزيادة الا طفيفة فليس يمكن ان يثنى أو يثلث الا اناس قليلون ، وقد ذكر اللورد كرومر في تقريره ان تعدد الزوجات في المصريين والمسلمين لا يتجاوز ما بين الخمس والثلاث في المائة وهذا هو المعقول ويستحيل ان يعدد الجميع اذ لا يجدون نساء تكفيهم بهن يقترنون وهؤلاء الخمس لا يضرون ، في المدنية والعمران شيئا لو كانوا مفسدين ، فكيف وهم مصلحون الا ترى رعاك الله ان النساء يزدن عن مقدار الذكران لما يصيب الرجال من الموت والآلام والمصائب ، فتكثر النسوان فاذا لم يعدد أولئك الخمس أو الثلاثة في المائة فاين يذهب الباقي من النساء ولا يعدو امرهن من احدى خصال ثلاثة ، فاما ان يعشن راهبات ولا رهبانية في الاسلام ، واما ان يعشن باغيات ويخدشن وجه الادب ولا اباحة في الاسلام ، واما ان يتزوجن على ضرة ولعمري لان تنال احداهن الضرر من مجاوره أخرى خير واتقى لهما من ان تزني احداهما وتتبوأ متبوأ خسيسا ، سألتكم بالله ايها الشبان أترون الرجال جميعا اعفاء قالوا كلا ، قلت أفليس عشرون في المائة من أهل اوروبا يتزوجون سرا على نسائهم ، قالوا بل ستين في المائة ، قلت اذن ظهر لكم ان نوع الانسان مضطر لتعدد الزوجات حتما ، قالوا نعم قلت أفليس اذا وافق سنة صحيحة وانتج ذرية شريفة شرعية فهو خير واتقى من سفاد كسفاد الحيوان مع سعي في هدم ابنه المولود وقطع الطريق على حياته ، قالوا نعم ، قلت اذن لم يبق الا ان اذكر لكم سبب اشاعة الاوروبيين هذه الاشاعات ، ذلك انهم حكم عليهم باعتناق دين يحرم التعدد على الازواج فالجأ بعضهم للفسق وزج بعض نسائهم في حماة الرذيلة فصاروا الوفا مؤلفة ونظروا فوجدوا المسلمين

يتزايدون اذ يتزوجون كما يتوالد و يتناسل اهل بلاد الكفر و ربا وقد حقدوا عليهم لما راوا رجالهم يعددون الزوجات وهن يقمن بالعمل والزرع والحصد والسقى والرجال لا عمل لهم الا ان يكونوا سادة يولدونهن فيكثر النسل فاغاظ ذلك ساستهم ، فاخذوا يشيعون انهم ظالمون لنسائهم ، معددون لزوجاتهم ، وضربوا خرجا على كل من اقتنى زوجات متعددات فظاهره مساعدة الانسانية ، و باطنه حقد على كثرة الذرية ، ونتيجته استعمار البلاد واسترقاق العباد ذلك نص كلامهم فى كتبهم انهم يتمنون أن تبيح لهم عاداتهم أو دينهم ، أن يعددوا كى لا تترهب تلك البائسات ولا تحرم الآن من ولادتهم ذلك شان الامم الغربيه مع الشرقيين ، وأما الخمر ، فلا اقول الا ماشرحه العلامه هنرى الفرنساوى اذ قال ، ان الخمر هى السلاح الوحيد الذى قاتلت به اوروبا الامم الشرقية ، لتستاصلها به وتحل محلها ولم ينجع فى الجزائر ولم يحفظها الا دين الاسلام ، بعد ان اجتهدنا فى نشر الخمر بينهم ليقطع نسلهم فطاش سهمنا ، وخاب سعينا ، ورفضوا الخمرة احتقارا وتعبدا ، فهذه احدى شهادات العلماء فى الاحكام فاعتبروا يا أولى الابصار



## - ٨٩ -

( يوم ٦ فبراير سنة ١٩١٠ )

### ﴿ ملابس الزهر ﴾

فرغت من اعمال المدرسة اليوم ويممت الشارع لاروح النفس واستجم القوى واطلب الراحة ، فبينا انا سائر اذ آنست شبحا فى الطريق عليه ملابس حمر وبيض بهيئة جميلة باهره فخيل لى انها اوراق الزهر فى انتظامها وهندستها ومشاكلة الوانها وحسن هيئتها ثم قلت ، ان جمال الزهر طبيعى حسن بديع افليس يجدر بالانسان ان يكون زهرى الملابس بحيث ترف وتشف وتصقل فى نسيجها صقل ثياب الزهره ، وبينما انا مستغرق فى هذا المعنى اذ لمحت المارة غادين ورائحين ، مقبلين ومدبرين ، وليس لاحد منهم ما يشبه اثواب الزهرات ، بل الفيت الغنى والفقير يمران وسائر ملابسهم منسوجة نسيجا غليظا أو دقيقا لا تقارب نسيج لباس الزهرة فقلت أليس الانسان نهاية سلسلة المملكة النامية من النبات والحيوان ! أليس الانسان نباتا راقيا ؟ الانسان نبات مرفوع الرأس الى الاعلى والحيوان رأسه للجوانب والنبات رأسه فى الطين ، وما نحن الا نبات ننمو كما ينمو ، ونحيي كما يحيي ، ونمرض كما يمرض ، ونموت كما يموت ، نحن أرقى منه بمرتبتين الحيوانية والانسانيه ، بل بمراتب فمراتب الحيوانية كثيرة متتالية ، أفلم يكن الانسان أجدر بجمال الزهر ومحاسن ألوانه ونقوش ابداعـه ، ثم لمحت سيده مزدانة بورد احمر واخرى مكللة بزهر ابيض على رأسهما فقلت ها هو الانسان اخـذ يتحلى بالزهر وماله لم ينل جماله فى ثيابه ، وبينما أنا اجول فى هذا المعنى اذ ادركت

سر الامر وعلمت ان حسن الزهر طبيعي ومحاسن الثياب صناعية ، فالملابس مصنوعة بايدينا ، منسوجة على مناسجنا ، مخيطة عند خياطنا مصبوغة باصباغنا فاما نسج الزهر وترويقه وهندامه فانها طبيعة الاهية فكان أبهج رونقا ، وأبهى جمالا وحسنا واني يستوى الطبع والتطبع وليس التكحل فى العينين كالكحل

---

## — ٩٠ —

( يوم ٣ فبراير سنة ١٩١٠ )

### ﴿ أتدرك الجمال ؟ ﴾

يرى الانسان شيئا ولا يفقه له معنى ويقرأ كتابا ولا يذوق لحكمه لذة وما الحاجب الا ما قام بالنفس من نقص وألمّ بالجسم من ضعف أو ما شغلت به الروح من لذة أو عرض لها من سقم وقد يعرض للانسان شكل الحسن والجمال فلا يفقهه لنقص فطرته أو ضعف جسمه أو استغراق فكره وهذه نفوسنا ومخيلاتنا وعقولنا بديعة التركيب ، حسنة الهيئة تعيش وتموت ، ونحن عنها غافلون ، ذلك انا ننظر لها كأنها آلة مفكرة ودار صناعة عقلية ومنسج للمعانى وقليل من بنى الانسان من ينظر فى عجائبها وجمالها وعظمتها انها تركب وتحلل الصور ، وتبنى القصور ، وتجند الجنود ، وتصف الصفوف قد يتخيل العقل قصراً مشيداً ثم كوخا حقيراً ، وينشىء بستانا ، ويشيد مدرسة فى أقل من لمح البصر ، ويفعل مالا تفعله الايدى البشرية فى قرن ، ويفعل مالا يفعله الماهرون فى طرفة عين

غفل الناس عن ذلك وظنوه وسوسة وهجسا وعملا بلا فائدة مع انه لا يقل فى الاتقان عما يفعله صاحب الصور المتحركة فانه يحدث صوراً متعاقبة مما نشاهده ، فيلذ ابصارنا ، ويبهج قلوبنا ويحيى نفوسنا ، واذا فكرنا فى قدرة الله وعظمته عرفنا كيف يخلق بلا مادة ، وينشيء بلا معين ، وكأنما هذه العقول والارواح امثال وضعت فينا اذا قرأناها ادركنا كيف يقول للشيء كن فيكون ، وكيف أصدره للعالم بلامادة ، ولا آلة ولا اصباغ ولا زينة فاننا نلاحظ أنفسنا تنشيء وتبنى وتصبغ وتهندس ، ولا آلة ولا صبغ ، ولا تتناهى قدرتها ، ولا آخر لعملها والله لا آخر لقدرته ولا نهاية لعمله ، وفى الكتاب وفى أنفسكم أفلا تبصرون ، وفى الحديث « من عرف نفسه عرف ربه » ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين

---

## - ٩١ -

( يوم ٦ فبراير سنة ١٩١٠ )

### الصور المتحركة

نشاهد الصور المتحركة تمثل أيام الحرب ، وتحكى أعمال اللصوص الهاربين ، واجرام القاتلين ، وجنايات الخائنين ، وظلم الطغاة ، واعمال الجبارين فيسرنا منظرها ، ونحن نرى الرؤوس مقطعة ، والجثث ممزقة ، والظلم مجسما يسرنا ذلك ولو اننا كنا مؤانسين الوقائع الاصلية ، والمشاهدات الفعلية لانقبضت نفوسنا واشمأزت من هول ما نرى أرواحنا ذلك لان النفوس تسر لمنظر العجائب ،

وتفرح لما ترى من الغرائب فافعال البشر كلها دائرة على محور الافكار في دائرة النظام فان قرنت بما لا تحبه النفس الانسانيه أضاع الظلم بهجتها ، وأمات لذتها فاما اذا صورت الاعمال وقد خلت من المادة وتجردت عن آلام النفوس القائمة بها تأدت تلك الاعمال الى أنفس المشاهدين صافية ، وجاءت الى عقول الناظرين بمحاسنها ، ذلك سر السرور بمنظر الصور المتحركة ، الا ان في الانسان صوراً متحركه من اعماله خزنها في خياله وسوف يحضر صور الشباب في المشيب ويعرض اعماله على محكمته ، وتمر عليه مروراً وينظر لها نظراً معقولا فترى الشيوخ يستعرضون صور اعمالهم في شبابهم فاذا كانت صالحة مقرونة بعفة وألم ومشقة جاءت لهم مجلوة بهيئة حسنة فسرهم استعراضها وبهرهم جمالها وغاب عنهم اذاها وطاح ما لحقهم من الآلام وكانت لهم انيسا وحبيبا

---

## — ٩٢ —

( ٨ فبراير سنة ١٩١٠ )

### الساعة السادسة بجانب الشباك

مالي أرى الساعات تكر ، والاوقات تمر مسرعة هالعة لا تلوى على احد ، ولا تبالي بمن تباطأ وتولى عن العمل ولا تهتم بمن اعرض عن الاعمال العالية ، ان في الساعة لعبرة انها تسرع في قياس اعمارنا وتنذر بانقراض اجسامنا ، وفناء حياتنا فلنقطع الوقت بالعمل فانه لا محالة قاطعنا ولنسرع بنظام كما تسرع الساعة ها أنا اسمع دقتها

وافهم انذارها ، انها لا تهدأ ولا تفتأ تنذر انها لا تنام وعقل الانسان كثيرا ما ينام ، مالى ارى كثيرا من هذا النوع الانسانى لا يعملون مالى ارى فريقا من الامة لاهيا ساهيا ، مالى أراهم يضيعون اوقاتهم سدى كيف يضيع المرء وقتا بلا عمل ماذا يظن فى خلقة جسمه ، وماذا يريد من الحياة ، وهل عرف سر وجوده ، وهل يدع النحلة تكون اشرف منه ، والنملة تسبقه الى العمل والخيرات ، النمل لا يفتأ ليلا ونهارا فى العمل ، مالى أرى رجالا فى القرى يتخذون البطالة حرفة ويعتدونها شرفا ويزعمون ان ذلك شأن الاشراف ويحسبون انهم على شىء ، الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون

---

## — ٩٣ —

( ليلة ١٠ فبراير سنة ١٩١٠ )

قال لى قائل كيف نذوق العذاب فى هذه الحياة الدنيا بالحسد والعداوة والحر والقر أوليس الله قادرا على كل شىء ، واذا كان كذلك فلم لا يريحنا من الآلام ويبرئنا من الاسقام ويجعلنا سعداء احياء على سرر متقابلين لا يمسنا فيها نصب فقلت أيها العزيز قد كان فيما مضى من الزمان رجل صالح عابد فسنح له هذا السانح ، وفكر وقدر وبكى وتضرع الى الله أن يهديه الى الجواب وبقي لا ياكل ولا يشرب فاخذته سنة من النوم فرأى كأنه تجرد من جسمه ، وان روحه وقفت

بين يدى الله تعالى فقال الله له ياعبدى سلنى ، فقال يا رب لم آذيت الناس بالحر والبرد وأنعمت ونقمت ومزجت الشر بالخير وهلا نعمتهم وآنستهم بوجهك الكريم ، فقال الله انظر فنظر اذا شمس وقمر وارض وكواكب سابحات فقال سأعطيك ايها العبد قدرة وعلما حتى تتصرف فى هذه الارض والشمس والكواكب فافعل ماتشاء فنظر اذا تحت امرته ارض كارضنا فيها بحر ملح وانهار جاريات وجبال شامخات واحجار مختلفات وعليها هواء وصار يدير الارض حول الشمس والكواكب والقمر وصارت قدرته تحركها اعواما ودهورا بلا فتور ولا خلل واخذ يحسب حركاتها ودوراتها ثم عطف على طبائع الارض ومائها وهوائها واحجارها وحصاها وطينها فانتج له انها مستعدة لمخلوق اجمل منظرا ، وابهى حسنا ينمو ويزيد ويقوم غيره اذا ذبل وهو النبات فقال ان من يقدر ان يخلق الاشرف من الاخس واعرض انه جاهل وبخيل فخلق النبات فابتهجت الارض وازدهت وحسنت واخذت زخرفها وازينت ثم اخذ يحسب وقد اطلع على صفحات الماء تتتابع ساطعات بنور القمر الوهاج وقد تمايلت غصون الاشجار والحشائش فى جوانبه فانتج له الحساب ان الماء والحشائش والطين باجتماعها على نسب لم يفقهها الا هو تخرج شيئا يتحرك ويسير فاخذ يخلق الحيوان ورقاه شيئا فشيئا حتى خلق الانسان حتى وصل الى المدنية والحضارة وهم يقتتلون ويتعادون ويحارب بعضهم بعضا كل ذلك فعله فى منامه ذلك ولم يستيقظ من رقدته ولم يقم من نومته وبينما هو كذلك اذ ارسل الله له ملكا من الملائكة ان احضر فحضر فلما كلمه قال له ما حملك على ان خلقت حشائش تقاسى آلام الحر والبرد ثم زدت فى غلوائك واتبعت شهواتك وآذيت خلقك

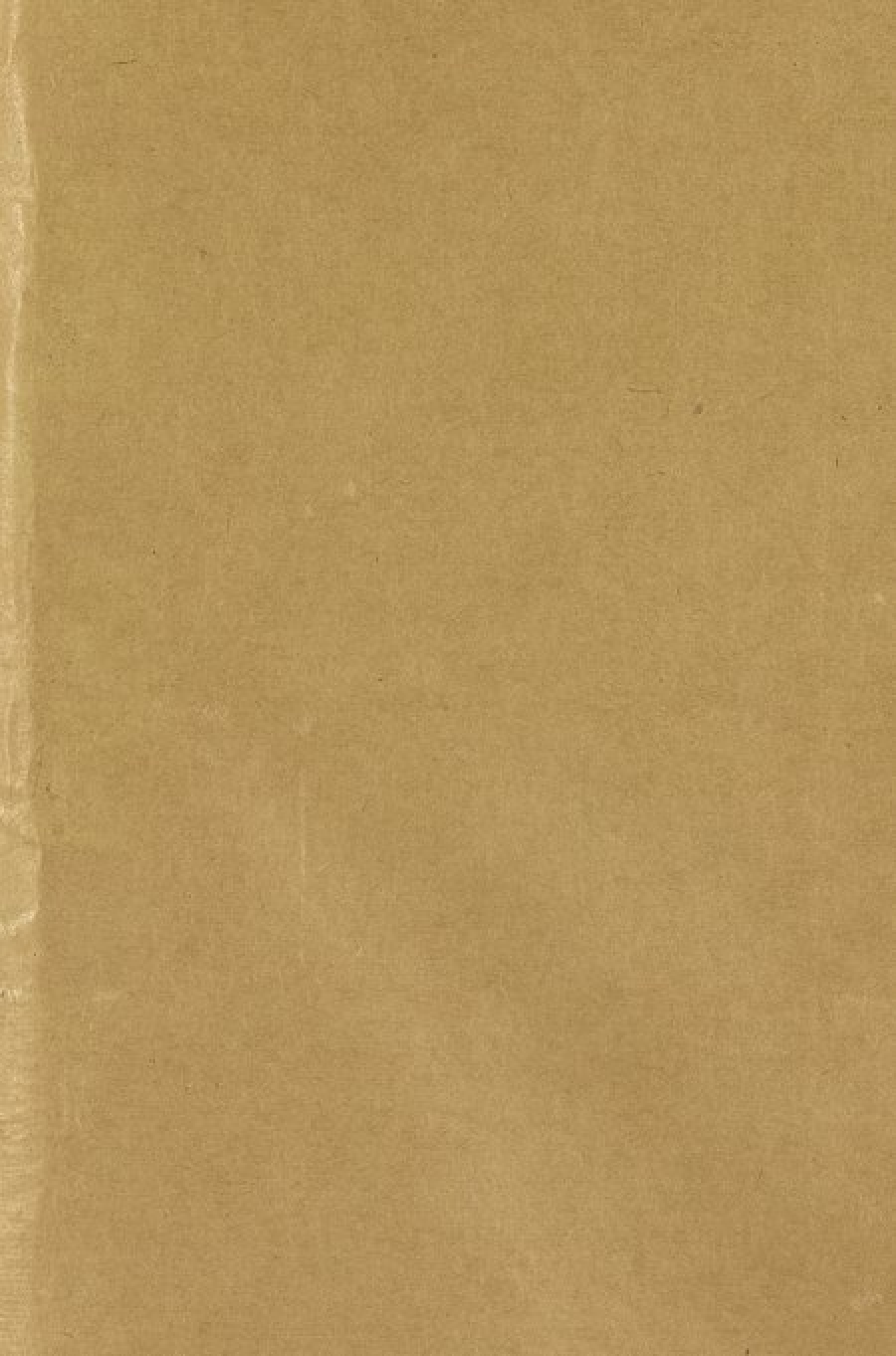
واوجدت انسانا وحيوانا يقتنص بعضه بعضا ويفتك بعضه ببعض وهو معذب يقاسي الآلام والاحزان ثم كيف تميتهم تارة وتبعدهم عن اوطانهم اخرى وهم يتقاتلون ويتحاسدون ويتدابرون ويتقاطعون ويتشاجرون ويعذبون ويحبون ويكرهون والاحباب يفترقون فيكون الحزن والشقاء والسهاد والاسقام والعلل والامراض وكم ينالون من محن ورزايا ونكبات وبلايا كيف تصرفت هذا التصرف الاليم فقال يا رب علمي الذي وهبته لي أراني ان هذه الارض وهذا الماء فيها استمداد لهذه العوالم وقابلية لتلك النسمات وقد اعملت فكرتي وحسبت بالجبر واللوغارتمات وحساب المثلثات وقضايا اخرى لا يعلمها الا انت ثم ظهر لي انه لن يمكن وجود بين هذه المواد احسن من هذا فرأيتني في حيرتين ووقعت بين ورطتين فاما ان اخلقها على ما علمت واما ان اتركها على سيرتها الاولى وقد ثبت لدى في العلم ان الشيء اذا كان فيه خير وشر وحسن وقبح وسعاده وشقاء وفضيلة ورذيلة فالمرجع اغلبهما عليه واكثرهما فيه فان غلب الخير وضعناه وان غلب الشر نبذناه انى الفيت الخير في هذه العوالم وخلقها اغلب فاقدمت على خلقها وسارعت لابرازها وانفت من صفة البخل والجهل والجمود فقال الله وكيف ابتليتهم بالحر والبرد والظلم والعدل الخ : فقال يارب ان الشمس وجدت قبلهم ولها دائرة انت تعلمها تبعد فيها وتقرب وتجيء وتذهب لها حساب معلوم وطريق مرسوم وايام معدوده وشهور معهودة فان قربت كان الحر وان بعدت كان البرد وعلى هذه النسبة كل ما منه يتألمون وبهذه النسبة ما منه يجأرون فقال وهلا اتخذت من الطرق الفعالة والنواميس العادلة ما يخفف عنهم آلامهم ويجعل

شقاءهم نعيما وعذابهم عذبا ولو فى امد مستقبل فقال نعم يا رب انهم سوف يرقون الى عالم اعلى ويذوقون الدارين ويعرفون الحالين ويفضلون الثانية على الاولى ويمر عليهم شقاؤهم الدنيوى وآلامهم واسقامهم وما لاقوا من نصب والم ومكر وحيل وما عذبوا به من الاحزان والاسقام فيرونه سعادة وسرورا وجمالا وحبورا كمثل الصور المتحركة التى ينظرها المتفرجون ويأنس بها الناظرون وفيها الحروب والوقائع والسرقة وحيلها والغرقى وكفاحها والمرضى وجراحها والناس بها فرحون جذلون يتمتعون بحسن تنسيقها وجميل وضعها والوقوف على سر ترتيبها وعللها واسبابها فيحدث ذلك فرحا فى صدورهم وراحة فى قلوبهم وملاءمة لنفوسهم وقليلا ما يحسون بآلامها ويأسفون لمصائبها فقد تجردت من الاذى وصارت مقصورة على الامور العقلية والحيل الفكرية فهكذا ترى ذلك الجريح المسكين والمريض والقتيل وذوى المصائب والاحزان والآلام اذا تجردوا من اجسامهم ذكروا تلك الايام الخالية والربوع البالية والسير الماضية فيذكرونها مجردة عن الاحزان مقرونة بالسرور لانهم ذهب الحزن منهم ومضت مصائب الزمن بل تراهم يفرحون بذهابها ويسرون بمضيها ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور فتكون ذكراها لهم لذة ونعيما وسعادة وسرورا مقيما كفرح المرء بالغنى بعد الفقر والعلم بعد الجهل والصحة بعد المرض والقوة بعد الضعف والوصال بعد الهجر والملك بعد الرق والظل بعد الحرور فلو اننى يا رب امكننى تجريدهم من الاحزان فى دنياهم ما ذاقوا هذا النعيم ولكانوا اغبياء لا يفقهون تلك المعانى التى مرت عليهم فى الدنيا . فالدنيا جملتها لهم مدرسة عليا

يفقهون فيها الاشياء باحساسهم بحواسهم الخمس وعقولهم فاذا تعلموا فيها كانوا بها عالمين فتكون نارهم بردا وسلاما واحلامهم عيانا فاما من ظلم منهم فساوقعه فى شقاء وانظر فى امره فقال له الله لقد فهمت السر فاكتمه فاستيقظ الرجل من منامه وهو فرح مما رآه متعجب من الراوى وما رواه

﴿ تم الكتاب ﴾






Princeton University Library
32101 079874705